المكتبة العامة لندوة العلماء
« مكتبة الحلواجية مهدي الزمخشري »
ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند

	نام کتاب	نام مصنف
٥٠ ١٩٠	البعث الإسلامي ١٤٠٨ھ	سعيد الأعظمي الندوي
		دستخط

٥٠٠٨
١٩٦١١

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

... ٦، المجلد ٣٢، ربيع الأول ١٤٠٨هـ

البعث الإسلامي

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكهنؤ (الهند)

أنشأها : فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله
فى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

البعث الاسلامى

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمى الندوى
واضح رشيد الندوى

المجلد الثانى والثلاثون ★ ربيع الأول ١٤٠٨هـ — أكتوبر و نوفمبر ١٩٨٧م ★ العدد السادس

المراسلات :
البعث الاسلامى مؤسسة الصحافة و النشر ، ص . ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI c/o. Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93. Lucknow (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، وبعـــد :

فان مجلتك « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الثانى و الثلاثين ، وهى ماضية فى جهادها المتواضع منذ أمـد بعيد ، رغم ضآلة وسائلها وقلة إمكانياتها ، و قائمة بواجبها الاسلامى على جبهة معادية مليئة بالأحقاد و الكراهية و مشحونة بوسائل الهدم و التخريب و فى بلد علمانى ليس الاسلام دينه الرسمى ، و ليست اللغة العربية لغته القومية .

فهلا نرجو منك ـ أيهـا القارىء الكريم ـ أن تشعر ببعض واجباك نحو مجلتك هذه و تتكرم ببذل شئ من وقتك الغالى فى سبيلها ، و ذلك أن تكسب لمجلتك هذه عـــدداً من إخوانك المشتركين و تتفضل بارسال اشتراكاتهم حسب التفاصيل المذكورة أدناه ، أو تقوم بانشـاء وكالة للمجلة فى بلدك أو مجتمعك الذى تعيش فيه و تفيدنا بذلك فى أول فرصة ممكنة ـ نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى فى أى حال ، وجزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : / ٥٠ روبية ، ثمن النسخة خمس روبيات .
★ فى العالم العربى :/١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى.
★ فى أوربا و أمريكا و إفريقيا :/١٥ دولاراً بالبريد العادى ، / ٥٠ دولاراً بالبريد الجوى .
★ فى باكستان و بنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

المراسلات : مكتب البعث الاسلامى ، مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAASELISLAMI - C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

المجلة لا تتقيد بكل فكر لكل كاتب ، ينشر فيها

في هذا العدد

★ الافتتاحيـــــــة

الشريعة الاسلامية و مسئولية علماء المسلمين — سعيـد الأعظمى — ٣

★ التوجيـــــــه الاسلامى

دور الاسلام الثورى البناء فى مجال العلوم الانسانية — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٠

الغزو الفكرى ، أسلوب المواجهة و خريطة الخصوم ، — بقلم الدكتور عبد الحليم عويس — ١٦

★ الدعوة الاسلاميـــــــة

« رسالة إلى صديق قديم »

القدوة الصالحة أسلوب تربوى ناجح — فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره — ٢٩

★ عـــــلم النفس الاجتماعى — الأستاذ حسنى أدهم جرار — ٣٧

العلوم الاجتماعية و المعارف الانسانية — فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى — ٤٨

★ النشاط الاسلامى فى الهنـــد

مجهودات المسلمين للاحتفاظ بشخصيتهم الاسلامية فى الهند — الدكتور محمد يونس الجرامى — ٥٦

★ الفقـــــــه الاسلامى

نظام الارث فى الاسلام — فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى — ٦٦

★ اقتصادنا فى ضوء الاســـلام

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى — الأستاذ صدر الحسن الندوى — ٧٦

★ علم فقـــــــــدناه

العلامة الدكتور محمد تقى الدين الهلالى المراكشى — سعيـد الأعظمى الندوى — ٨٠

★ صور و أوضـــــــاع

عند ما تختل الموازين

الخواء الروحى و الترف يهـدد

مجتمعات الأثرياء فى العالم الاسلامى — واضح رشيد الندوى — ٩١

★ أخبار اجتماعية و ثقافيـــة

سماحة الشيخ الندوى يرأس دورة مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية ، و يعود فى سلامة الله — قلم التحرير — ٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــة :

الشريعة الاسلامية و مسئولية علماء المسلمين

كل إنسان يريد أن يعيش فى سعادة فهو بشعر بحاجة إلى أن يستند نحو قانون يدعمه ويبعث فى نفسه الثقة بالمستقبل الذى يتطلع إليـه ، ثم يتولى ذلك القانون تنظيم الحياة وفق الطبيعة و توجيه الآمال والتطلعات إلى طريق البناء والتعمير ، حتى تتم السعادة و تتحقق الغـاية المنشودة من الحيـاة ، ويسير الانسان فى ضوء الواقع ويتجه بخطى حثيثة نحو الهدف الأصيل ، و لقد بين الاسلام منذ اللحظة الأولى أنه أكمل دين جاء بأشمل شريعة تمت بهـا نعمة الله على المسلمين ، وشهد الله سبحانه أنه « الدين القيم و لـكن أكثر الناس لا يعلمون » ، و لما نزلت الآية « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » ، جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون فى كتـابكم آية لو علينـا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، ذلك أن الرجل اليهودى قد أعجب بما فى الآية من بشارة عظيمة ، و إشارة قوية إلى أن الاسلام هو النعمة العظيمة الخالدة التى أكرم الله بهـا المسلمين على مدى الدهر ، و وضع فيه كل ما تحتاج إليه الحياة البشرية من مدد غامر فى كل زمان و مكان و على كل مستوى ، و أنه يتكفل باستجـابة كل نداء ، وقضاء كل مأرب ، و مسايرة الحياة و الـكون و الانسان فى كل لحظة .

و قد من الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بما جعله على شريعة الاسلام ، التى هى المنهاج الدائم و الطريق الحق الذى يودى إلى الغـاية بسلام ، و أمره باتباعها ، و اعتبر غيرها من المناهج و الطرق التى جاء بها الناس على غير هدى

« أهواء » فقال : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً و إن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، و الله ولى المتقين » فهى شريعة الله التى أنزلها لمصالح الحياة الانسانية و تقويم شئون العباد و البلاد بصفة دائمة وهى تغطى جميع المساحات الزمانية و المكانية و تندمج مع طبيعة الحياة ، و تلائم فطرة الكون و الانسان ، و تحمل من المؤهلات الهائلة مالا يكاد يطلع عليه أحد إلا الله .

إنها شريعة الله و أحكامه و حدوده و معالمه و قوانينه التى وضعها الله لبناء الانسان و إعداده لتحمل مسئوليات الحياة و لقيادة الكون ، وهى ذلك الدستور الربانى العظيم الذى يحتوى على كل صغير وكبير من الأوضاع و الأحوال التى تجتازها الحياة البشرية فى مراحلها المختلفة ، لذلك فان شريعة الله لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من شئون و حاجات و أوضاع الانسان و الحياة و الكون إلا و قد أحصتها بغاية من الدقة و الشمول ، فالايمان بشريعة الله الخالدة بحيث يملأ أرجاء النفس و يستولى على الفكر و الوجدان من أوليات قضايا الحياة الاسلامية ، و مما لا يمكن الخطو إلى الامام بغيره ، إن المسلم إذا أذعن للاسلام وجعل كل إمكانياته تابعة له ، و خاضعة لأحكامه و قوانينه ، فمعناه أنه جعل شريعة الله إمامه و قائده ، و أنه لا يعدوها فى أى شئ من حياته و لا يراوده شك فى لحظة ما حول غنائها و صلاحيتها للقيادة و الهداية رغم تغيرات الأحوال و تطورات المدنيات و اتساع دوائر العلم و الثقافة و تسابق المؤسسات العالمية فى إنماء الوسائل الانسانية وتنمية الكفاءات الحضارية فى كل مجال .

إن هذه الشريعة الالهية لكفيلة باقرار الأمن و الهدوء ، و نشر السعادة و الهناء بين المجتمعات البشرية وكافة الطبقات الانسانية ، و قد قامت بدور عظيم خالد فى توفير الثقة بالحياة و ربط القلوب بالحب و الاخوة و التعاون على البرو التقوى و شحن النفوس بدوافع الكرم و الورع ، فى كل فترة سادت فيها على المجتمع و الحياة ، و احتكم إليها عباد الله فى الشئون و القضايا ، و حكموها

فى كل شيئ و هنالك انصرفت عنهم الظروف المعادية ، و زالت عنهم الأخطار من كل نوع ، و مالت إليهم القلوب وركنت إليهم الأمم و الشعوب ، و رأت فيهم سفينة نجاة ، و حظيت من أجلهم بالسعادة و الاستقرار ، و تبدل الوضع بغيره ، و ظهرت الأمداد الغيبية ، و انتكست رؤس الكفر و الجهل و الهوى .

و كلما أصيب المسلمون بنكسة أو نكبة ، و تضافرت عليهم الطاقات المضادة و تألبت ضدهم ، و سدت فى وجوههم طرق العيش و الحق المشروع كانت وراء ذلك ممارسات غير طبيعية مما ينم عن تنكرهم لشريعة الله و استنكارهم تطبيق أحكامها فى عصر الحضارة والعلوم ، أو مجرد إهمال لشأنها فى خضم الأفكار و الفلسفات التى تترى إليهم من كل جهة ، و هم من أكثر الأمم إصابة بالمحن و والنكبات فى عصرنا الحاضر ، فلا تراهم فى أى بلد أو قطر إلا وهم منكوبون ، ومتأزمون بألوان من الأزمات الاجتماعية و السياسية و النفسية و الاقتصادية ، و يشعر بهذا الواقع بل يشاهده كل ذى عينين من المسلمين ، و إذا وفق أحدهم للتفكير فى الواقع المشئوم و البحث عن أسبابه فسرعان ما تتمثل أمامه اسرائيل ، أو مخططات الصهيونية و مؤمرات الصليبية الحاقدة أو قرارات محافل الماسونية أو كبرياء القوات الكبيرة و المعسكرات العالمية ، أو مكايد الشيوعية و الماركسية ، كل شيء من هذه الوسائل الهدامة للمسلمين يتجسد للعيون ، و طالما يتعب فى ذلك الباحثون عن أسباب شقاء المسلمين وامتهانهم ، و لكن قلما نجد من يكون واقعياً فى هذا الموضوع و يحاول الوصول إلى الحقيقة بجدية و صرامة .

إن هذا الموضوع ليس فيه أى غموض أو التواء ، بل إنه واضح كوضوح الشمس فى رابعة النهار ، وهو أن المسلمين أصبحوا يعيشون اليوم فى شبه انقطاع عن شريعتهم ، و تتحكم فيهم الشرائع المادية و تملى عليهم الأفكار الزائفة حكمها ، و تفرض عليهم المدنيات و الملابسات الاجتماعية المعاصرة أنظارها من غير أن يشعروا بذلك ، الواقع الذى أبعدهم عن فكرهم الدينى و شغلهم بالتفكير فى الوسائل التى توفر لهم التقدم و الرفاهية و السعادة و تتيح لهم فرص العيش

الرغيد كشأن الأمم المادية الأخرى ، فلا يعتبروا متخلفين عن غيرهم فى الحياة و مرافق العلم و المدنية ، و بتعبير أوضح : ساء ظنهم بشريعة الله ، و زعموها من الشرائع الدينية التى ولت أيامها ولم تعد صالحة لمصالح الحياة فى العصر الحاضر .

هذه حقيقة وإن كانت لا تبدو على السطح الظاهر وتعيش فى غضون كثير من الأذهان و خفايا النفوس ، و لكنها تعمل عملها فى شئون الحياة كلها وتترك تأثيرها على الأفكار والأعمال وعلى جميع برامج الحياة ونشاطاتها، إن هذا الانحراف الخفى الذى تسرب إلى نفوس المسلمين بوجه عام و حتى إلى نفوس كثير من قادتهم و زعمائهم و أصحاب الحل و العقد فيهم ، قد يكون نتيجة لما يحوكه أعداء الاسلام من خيوط المؤامرات ضد المسلمين فى قطاعات كثيرة و بأساليب منوعة و على جميع المستويات من العلم و المدنية و الدين و الحضارة ، و لكن المسئولية لا تنتهى بما إذا أدركنا هذا الواقع ، بل إنها تتضاعف و تطالب منا العمل فى إزالته و بذل الجهود المخلصة فى تغييره بكل ما أوتينا من قوة و وسيلة .

مسئولية إزالة أسباب الانحراف من المجتمعات الاسلامية تعنى النهوض بجميع الوسائل المادية و المعنوية لاثبات أن الشريعة الاسلامية هى القاعدة الصلبة للحياة الاسلامية ، وأن بناء الحياة و رفع منارها على أحكام الشريعة وقوانينها يضمن السعادة التامة ويتكفل بايجاد جو إسلامى يتنفس فيه الانسان الصعداء، وتتحقق فيه مطالب الطبيعة الانسانية، ويقوم مجتمع إسلامى نموذجى يحكم فيه العدل والرحمة والاحسان و البر و العطف ، و تتمتع فيه الحياة بالتوازن و الاقتصاد ، و العز و الطمأنية ، و يسود فيه الأمن و السلام واحترام الدوافع الخيرة ، و يدرك فيه المرء كل ما يتوخاه من استقرار و راحة و حب و إخلاص ، و يتميز الانسان فيه بالنصح لغيره ، فلا تمر عليه لحظة بدون النصيحة و إرادة الخير و العمل الصالح مما يستفيد منه المجتمع بكامله ،ويعم ذلك جميع أفراده ويشمل كل عضو من أعضائه ، وذلك هو المجتمع النموذجى الذى أرشد إليه الاسلام بتعاليمه ، و الذى لا يرتفع بناؤه إلا بتحكيم شريعة الله فى الحياة الفردية و الجماعية .

وليس ذلك بدعا أو أمراً غريباً لا يمكن أن يتحقق فى صورة عملية واقعية ، لا ، بل وقع ذلك مراراً فى التاريخ وقامت مجتمعات ودول على أسس الشريعة الاسلامية ، و حظيت فيها الأحكام و القوانين الشرعية بالتطبيق ، فتمثلت فيها الحياة الاسلامية بكل خصائصها و ميزاتها ، و نال فيها الناس من الارتياح والأمن و الهدوء و تمتعوا فيها براحة الضمير و سعادة القلب وهناء العيش ما لا يخفى على الخبير المطلع .

لقد جرب ذلك التاريخ الانسانى فى الأمس البعيد و القريب ، و قامت قطاعات بشرية و لو فى مساحة مكانية صغيرة بتحكيم الشريعة الاسلامية و تطبيق أحكامها وحدودها ، فأثمر ذلك ما لا تحلم به مجتمعات القوانين الوضعية والشرائع المادية فى أرقى عواصم العالم و أوسعها حضارة ، فضلا عن تمثيل جزء حقير من ثمار العمل بالشريعة الاسلامية و تحكيمها ، و تصوير مجتمع اسلامى مثالى يجدد ذكرى المجتمعات الاسلامية فى القرون الأولى ، و يذكر بتلك الأخلاق الفاضلة و المكارم الخلقية التى تحلى بها انسان التاريخ الاسلامى الأول .

و لقد سجل لنا تاريخ الهند الاسلامى فى فجر القرن الثالث عشر الهجرى فترة مباركة قام خلالها الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد بدعوة التوحيد والتجديد و الجهاد فى سبيل الله ، و نظم جماعة كبيرة من المسلمين و أشرف على تربيتها الدينية و الحربية ، و هاجر مع هذه الجماعة إلى أفغانستان و نجح باخلاصه الكبير و تفانيه فى سبيل إعلاء كلمة الله فى تأسيس دولة إسلامية شرعية تحكم فيها الشريعة الاسلامية على جميع المستويات ، و قرت عين الاسلام بعد فترة طويلة برؤية حكومة إسلامية تقوم على منهاج الكتاب و السنة و تمثل النموذج الصادق للدولة الاسلامية الشرعية ، و يتحدث عن نتائج هذا النظام الشرعى و بركاته التى تجلت فى أقل مدة سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى كتابه « إذا هبت ريح الايمان » .

« وتجلت بركات هذا النظام (الشرعى) النيرة فى مدة قريبة ، و كان للدين

صولة و شوكة ، و أزيلت مظالم قديمة مضى عليها نحو قرن ، وردت الحقوق إلى أهلها و الأملاك التى اغتصبها و استولى عليها الأقوياء إلى أصحابها الشرعيين ، و استغاث الذين هضمت حقوقهم ، و انتهكت حرماتهم إلى الأمير و نوابه فانتصر لهم ، و استطاع هذا النظام أن يحقق مالا تحققه الحكومات الكبيرة المنظمة من رد المظالم و إغاثة المظلومين وردع الظالمين ، و كان من نتيجة الحسبة أن أقبل الناس على أداء الفرائض و إقامة الصلوات ، حتى يدخل الانسان فى قرية عامرة فلا يجد فيها تاركاً للصلاة ، وقامت هيبة الدين وعز بعد مدة طويلة » .

و لقد كان العلامة محمد اقبال شاعر الشرق الاسلامى أدرك سر الشريعة الاسلامية فقال فى إحدى خطبه :

« إن من يربط الشريعة الاسلامية بالحياة ويثبت أنها فوق كل القوانين الوضعية و سابقة عليها ، بل إنها سابقة على الزمن الذى لا يستطيع أن يسبق عليها ، فهو الذى يسمى مجدد عصره ، ومهما كانت الدنيا قد تطورت و تقدمت وتوسعت ولكن الشريعة الاسلامية تصلح لقيادتها فى كل عصر وظرف ، والرد على جميع ما يثار اليوم من شبهات ، و تقديم الحلول لكل مشكلة جديدة ، إنها جديرة بتنظيم مجتمع ناضج كامل فى كل وقت » .

و من هنا تتضخم مسئولية علماء المسلمين نحو الشريعة الاسلامية ، فى إثبات أنها هى شريعة الانسان فى كل عصر وجيل ، وهى التى تتفق و طبيعة الحياة فى كل زمان و مكان ، وتحمل من قوة الحياة ما تتمكن به من فك جميع ألغاز العلوم و الحضارات ، وإنقاذ حياة الانسان من أوحال الأفكار و الشرائع المادية العاجزة ، وهى تترقب دورها فى نشر الأمن و السعادة و الثقة و العدل على جميع المستويات الانسانية ، تاركة و رامها جميع التطورات الهائلة التى أتى بها العلم الحديث فى العالم المعاصر .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ؟

(سعيد الأعظمى)

التوجيه الإسلامي

دور الاسلام الثورى البناء فى مجال العلوم الانسانية

—(الحلقة الخامسة)—

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحركة العلمية العالمية الفريدة التى أنشأتها تعاليم الاسلام :

و من هذا التنويه بشأن العلم و الحث عليه ، انبثق ذلك النشاط ، و بكلمة أصح ، الحماس العلمى و التفانى فى سبيل العلم فى تاريخ الاسلام ، و انطلقت هذه الحركة العلمية العالمية الخالدة التى مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية ، والمساحة المكانية من أكبر المساحات المكانية ، والمساحة المعنوية أوسع من كلتا المساحتين .

و تكفى هنا شهادة لباحث غربى كبير و مؤرخ فرنسى شهير و هو الدكتور « غوستاف لوبون » يقول فى كتابه المشهور « حضارة العرب » :

« و الانسان يقضى العجب من الهمة التى أقدم بها العرب على البحث ، و إذا كانت هنالك أمم تساوت هى و العرب فى ذلك ، فانك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل ، والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد و إقامة مدرسة فيها ، و إذا ما كانت تلك المدينة كبيرة ، أسسوا فيها مدارس كثيرة ، و منها المدارس العشرون التى روى « بنيامين التطيلى » المتوفى سنة ١١٧٣م أنه شاهدها فى الاسكندرية ، و هذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة و قرطبة الخ ، على جامعات مشتملة على مختبرات و مراصد و مكتبات غنية ، وكل ما يساعد على البحث العلمى ، و كان للعرب فى أسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة ، و كان فى مكتبة الخليفة الحكم الثانى بقرطبة ستمأة

ألف كتاب ، ومنها أربعة و أربعون مجلداً من الفهارس ، كما روى مؤرخو العرب ، وقد قيل بسبب ذلك أن « شارل الحكيم » لم يستطع بعد أربعمأة سنة أن يجمع فى مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمأة (٩٠٠) مجلد يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت (١) .

أكبر انحراف وقع فى خط التقدم العلمى فى أوربا :

إن أكبر انحراف وقع فى خط التقدم العلمى الذى سار عليه الغرب منذ استيقظ من سباته العميق ، و تحرر من هيمنة الكنيسة و محاكم التفتيش فى أوربا فى القرون الوسطى ، و استأنف رحلته فى دنيا العلم و الاكتشاف ، و فى طريق تسخير الطاقات الطبيعية و الكون لمآربه الفردية و الجماعية ، إنه واصل هذا العمل الذى أحدث انقلاباً هائلا فى الحضارة ، ككائن مستقل حر يحق له أن يحكم هذا الكون و يسخره لأغراضه الشخصية أو الوطنية ، أو القومية ، و يتصرف فيه كما يشاء و هو غير مسئول أمام ربه ، يعمل ما يشاء بالأصالة ، لا بالخلافة والرسالة ، وهذا هو الخط الذى جر على العلم وعلى الأمم التى لم تبلغ هذا الشأو البعيد من العلم و المدنية ، أو وقعت تحت رحمته و حكمه ، شقاءاً طويلا ، و عذاباً أليما .

تعليم الأسماء لآدم كخليفة و معناه العميق البعيد :

و بالعكس ، القرآن يصف الانسان بأنه خليفة الله فى أرضه ينفذ أوامره ، ويسير فى ضوء تعاليمه و رسالته ، و مستخلف مفوض ، متقيد بأحكام ربه ، مسئول أمامه ، مجزى على عمله ، محاسب على سوء تصرفه و أنانيته ، معاقب على

(١) « حضارة العرب » ص / ٤٣٤ ، تأليف الدكتور غوستاف لوبون ، ترجمة الأستاذ عادل زعتير ، مطبعة عيسى البابى الحلبى و شركاه ، بمصر .

تفريطه و إفراطه ، و على انخداعـــه بالقوة المحدودة ، و الحكم الزائل ، و الحياة العابرة ، و الدنيا الفانية ، و معاقب على استعباده لبنى جنسه ، و استبداده فيهم ، فقد ذكر القرآن الحوار العميق المعنى ، بعيد المدى الذى جرى بينه تبارك و تعالى و بين الملائكة عند خلق آدم : و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة (١) و قد جاء فيه : « وعلم آدم الأسماء كلها » (٢) فدل ذلك على أن كل ما اتصف به النسل الانسانى من صلاحيته للعلم الذى يحتاج إليـــه فى هذا الكون و يستخدمه لصالحه ، وكل ما يربطه من صلة بهذا العالم المادى ، و كل ما وهب من طاقة و إمكانية للانتفاع بهذا الكون والطبيعة والحياة ، إنما مصدره هى « الخلافة الالهية » و إن كل ذلك بالنيابة لا بالأصالة و كل ذلك خاضع لمنصب الاستخلاف الذى خص به دون الملائكة ، و فى القرآن اشارات غير ذلك ، فقال :

« و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٣) و قال : « ثم جعلناكم خلائف فى الأرض لننظر كيف تعملون » (٤) .

ويدل القرآن على أن خلافة الله تعالى مسئولية عظيمة تطلب العدل والرحمة ، و الدقة والمحاسبة الدقيقة ، يقول الله تعالى مخاطباً لنبيه داؤد عليه السلام ، وكان يحكم مملكة واسعة : « يا داؤد إنا جعلناك خليفـــة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (٥) .

---

(١) سورة البقرة — ٣٠ .
(٢) سورة البقرة — ٣١ .
(٣) سورة الحديد — ٧ .
(٤) سورة يونس — ١٤ .
(٥) سورة ص — ٢٦ .

أعظم غفلة و جهالة ظهرت على مسرح التاريخ :

و شتان بين الخلافة والأصالة ، فالخليفة دائماً مرتبط بمن استخلفه ، خاضع خاشع أمامه ، أمين فى خلقه ، رفيق بمن نصب له ، شاكر لفضل مستخلفـــه ، راد لكل فضل ونعمة إليه ، لا يأخذه الصلف و الغرور ، و لا تستخفـــه القوة و السلطان ، و قد تناسى الغرب هذه الحقيقة فكانت أكبر عثرة ليس فى تاريخ العلم و الاكتشاف بل فى تاريخ البشرية ، و لم يكن ذلك ذهول فرد أو أفراد معدودين ، أو مدرسة فكرية أو فلسفة ، بل كان ذهول العلم و القيادات العالمية ، التى أصبحت تتحكم فى مصاير الأمم و اتجاهات العالم ، فكان أشق ذهول ، و أعظم غفلة أو جهالة ، ظهرت على مسرح التاريخ ، وكانت غلطة أنتجت عصراً و أجيالا من الغلطات ، وقد قال بعض الحكماء : « ما رأيت ولودا مثل الغلطة الواحدة » ولا يزال العالم يرزح تحت هذا الانحراف عن الخط المستقيم الذى رسمه الله وبينه القرآن عن موقف الانسان العاقل العليم الذى استخلفه الله على هذا الكوكب ، و خوله العلم و الطاقة ، وسلحه بما يحتاج إليه فى القيام بعبء هذه المسئولية العظيمة الدقيقة .

خصائص الحركة العلمية الاسلامية الخمس :

و من خصائص الحركة العلمية التى انبثقت عن تعاليم الاسلام وقامت على أكتاف علماء المسلمين خمس خصائص نشير إليها على سبيل الاختيار والاختصار : العالمية و الانسانية :

١ — عالمية هذه الحركة و إنسانيتها ، فالعلم فى الاسلام حق مشاع ، وثروة مشتركة لجميع الأمم و الشعوب ، و العناصر و الأجناس ، و الأسر و البيوتات ، والبلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار « بنى لاوى » من اليهود أو « البراهمة » من الهنود ولا يتميز فيه شعب عن شعب ، ولا نسل عن

نسل ، وليس الاعتماد فيه على العرق والدم ، بل الاعتماد فيه على الحرص والشوق ، وحسن التلقى ، وزيادة التقدير ، والتفوق فى الجهاد و الاجتهاد ، و قد روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن النبى ﷺ ، أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » .

وكفى شهادة تاريخية لذلك ، ما قاله نابغة العرب عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) فى مقدمته المشهورة :

« من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية ، إلا فى القليل النادر ، مع أن الملة عربية ، و صاحب شريعتها عربى » (١) .

الشعبيـــة :

٢ــ شعبية هذه الحركة ، فقد قامت على مجهودات شعبية و على تقدير المسلمين للعلم و الشعور بالحاجة إليه ، و ما ورد فى الكتاب و السنة من فضله ، وما وعد من الأجر و الثواب عليه ، و الذم للجهل ، والنعى عليه وتنافس فيه المتنافسون من المسلمين فى كل عصر وجيل ، وقام أكثر المدارس ، و حلقات للتعليم فى العالم الاسلامى الواسع على تقدير المسلمين و تمويلهم ، عدا مدارس معدودة (كالنظامية فى بغداد ، ونيشابور) وما احتضنته الحكومات الاسلامية فى عواصمها و مدنها الرئيسية من مدارس و جامعات .

وقد انتشر العلم انتشاراً واسعاً بفضل العلماء المتطوعين و الأساتذة الزاهدين

(١) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة البهية ، ص/٤٠١ ، وراجع للتفصيل و الأمثلة الكثيرة على هذه الدعوى كتاب صاحب المقال : « الاسلام و أثره فى الحضارة ، وفضله على الانسانية » .

المتقشفين ، الذين زهدوا فى مناصب الحكومة و وظائفها ، و تقدير الأغنياء و الأمراء وقنعوا بالكفاف و ما يقيم الصلب ويسد الرمق ، و قد روى التاريخ الأمين حكايات من هذا القبيل ، ليس من السهل تصديقها لولا الرواة الثقات و الاستفاضة والتواتر ، والعلم بقوة الايمان و الاحتساب ، وروح التطوع و الايثار ، المتغلغلة فى أحشاء العلماء الراسخين (١) .

ويكفى لذلك مثالا ما وقع بين إمام دار الهجرة مالك بن أنس و الخليفة العباسى هارون الرشيد ــ وهو خليفة المسلمين ، و أكبر حاكم فى عصره ــ فقد طلبه الرشيد ليقرأ عليه المؤطأ ، فقال مالك : « إن العلم يؤتى ولا يأتى » و قام الرشيد يمشى مع مالك إلى منزله يسمع منه المؤطأ ، فأجلسه معه على المنصة ، و أراد أن يقرأ ، على مالك ، فقال ليخرج الناس عنى حتى أقرأه أنا عليك ، فقال : « إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة » و قال مالك لهارون : « يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا و أنهم ليحبون التواضع ، فنزل هارون عن المنصة وجلس بين يديه وسمعه » (٢) .

و قد كانت الحركة العلمية فى المسلمين حركة شعبية عمت جميع الطبقات و المستويات ، و أصبحت الدراسة هواية للجميع يتظرف بها حتى أهل الحرف

(١) اقرأ فى ذلك كتب تراجم العلماء ، و تاريخ الثقافة الاسلامية فى مختلف الأمصار ، وخاصة كتاب « صفحات من صبر العلماء لفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (بيروت ، دار البشائر الاسلامية) و كتاب « نزهة الخواطر » (١ــ٨) بالعربية للعلامة السيد عبد الحى الحسنى (طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ــ الهند) .

(٢) شذرات الذهب ــ ٢٩١/١ .

و المهن ، يقول A. J Hammerton فى كتابه « التاريخ العام للعالم »
(Universal History of the World)

« لقد أصبح كل مسلم — من الخليفة إلى الصناع — ولوعاً تهماً بالعلم و السياحة ، و كان ذلك أجل خدمة قام بها الاسلام نحو الحضارة العالمية ، وقد تقاطر رواد العلم من كل صقع على مركز ثقافى كبغداد ، و كذلك كان الشأن مع مراكز أخرى للعلم و الأدب ، و كان ذلك يشبه تهافت فضلاء الغرب على الجامعات و لكن الأول كان أكثر إثارة للحيرة و الاعجاب .

غصت المساجد التى كانت جامعات إسلامية (ولا تزال كذلك) بحشود من طلبة العلم الذين كانوا يقصدون هذه المساجد لتلقى العلوم الدينية ، و الفلسفة والطب والرياضيات ، من العلماء الكبار ، كان هؤلاء الأساتذة ينتمون إلى الأقطار التى تتكلم العربية ، وكانوا يلقون دروسهم محتسبين متطوعين لا تهمهم الشهادات ولا تستهويهم الرواتب و الأجور ، ليس عليهم إشراف لأحد ولا رئاسة ومراقبة ، فاذا كانوا بارعين متفوقين فى موادهم الدراسية انهالت عليهم جموع من التلاميذ ، وكانوا يقدرون و يعظمون بمقياس براعتهم و اختصاصهم فى موضوعاتهم و ينالون ما يفوتهم متطوعين متقللين (١) .

و قد كان الايمان و الاحتساب ، و ما روى و استفاض فى فضل التعليم من الثواب الجزيل و القرب عند الله ، و التطوع فى سبيله و إيثار حياة الزهد و التقشف لأجله على حياة الرخاء و الثراء و الرواتب الضخمة التى يتقاضاها المعلمون المحترفون و المرتزقة من الماهرين فى الفنون من الحكومات ، هو الرائد الحافز لهؤلاء العلماء المحتسبين حتى رويت عنهم حكايات يصعب تصديقها لو لا رواية الثقات و التواتر و ما عرف و تحقق من معرفة نفسية هؤلاء العلماء الأفذاذ و رئاستهم .

(1) Universal History of The World, A. J. Hammerton, London, Vol. 1v, P. 2533.—

نكتفى فى ذلك بحكاية لعالم عاش فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ، أوائل القرن التاسع عشر المسيحى ، وهو الشيخ عبد الرحيم الرامفورى) :

كان الشيخ عبد الرحيم (م ١٢٣٤هـ) يدرس فى رامبور ، و عرض عليه و إلى منطقة روهيل كهند ، الانجليزى المستر هاكنس منصب التدريس فى كلية بريلى ، براتب شهرى يبلغ مأتين وخمسين روبية (تقدر قيمته الآن بأكثر من ألفى روبية) و وعده بأن راتبه سيزاد فيه ويرفع مستواه ، فاعتذر قائلا بأن إمارته تدفع إليه عشر روبيات و ستوقف هذه المنحة ، فقال له هاكنس أنه عرض عليه أضعاف هذا القدر ، و ما عشر روبيات أمام مأتين وخمسين روبية ، فقال إن فى بيتى شجرة سدر حلوة وهى محببة إلى كثيراً ، فكيف السبيل إليها فى بريلى ، ولم يتطرق ذهن هذا الانكليزى إلى حقيقة الأمر الذى كان يدور بخلد الشيخ فقال إنى سأرتب لا يصال ثمرة هذه الشجرة إليك فى بريلى ، فقال أن لى تلاميذ فى رامبور ، فكيف أتركهم ، و سأحرم فرصة خدمتهم ، وحاول الانكليزى إقناعه ، فقال إنى سأقدم إليهم المنح الدراسية و سيواصلون دراستهم فى بريلى ، و لم يبق فى جعبة الشيخ إلا سهمه الأخير ، فأطلقه ، و قال : صحيح ما تقول ، و لكن ما يكون جوابى يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس (١) .

الحركية :

٣— و مما امتازت به الحركة العلمية فى تاريخ الاسلام و فى عالم الاسلام ، الحركية التى تجلت فى تحمل المشقات وقطع المسافات للحصول على العلم و التوسع و الاختصاص فى الدراسة ، و فى سبيل رواية الحديث الصحيح و الاسناد العالى ، والتحقيق العلمى ، والفحص اللغوى ، ثم فى سبيل تبليغ

(١) « ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للمؤلف نقلا من « نزهة الخواطر » ص / ٣٢٤ .

الأحكام الشرعية ونشر العلم الدينى فى البلدان المختلفة ، والمسافات البعيدة ، وكتب التاريخ و التراجم مشحونة بالأمثلة الرائدة ، و النماذج المحيرة ، خصوصاً ما ألف فى سير المحدثين ، و فى تاريخ تدوين الحديث وجمعه وحفظه (١) . ويكفى فى ذلك شهادة ما ذكره العلامة ابن خلدون (م٨٠٨هـ) من فوائد الرحلة فى طلب العلم فى مقدمته الشهيرة ، يقول رحمه الله :

« إن الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم ، و السبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم و ما ينتحلون به من المذاهب و الفضائل ، تارة علما و تعليما و إلقاء ، و تارة محاكاة وتلقياً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، و الاصطلاحات أيضاً فى تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم و تعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم و طرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ و الاستحكام فى المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة و التلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم ، و هذا لمن يسر الله عليه طرق العلم و الهداية ، فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (٢) .

(١) راجع « تذكرة الحفاظ » للعلامة الذهبى ، و « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » للدكتور مصطفى السباعى ، و « رجال الفكر و الدعوة » الجزء الأول ، عنوان « حركة الجمع و التدوين فى القرن الأول و الثانى » و « المحدثون و علومهم » ، ص / ٩٩ — ١٠٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، طبع مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، ص/٧١٢ .

الغزو الفكرى

« أسلوب المواجهة و خريطة الخصوم »

—(الحلقة الثانية)—

بقلم الدكتور عبد الحليم عويس
أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

أولا : أديان و عقائد محرفة (١)

١— الصابئة المندائيون :

الصابئة المندائية هى الطائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم و التى ترجع فى عقيدتها إلى عهد آدم عليه السلام ، وتعتبر « يحيى » عليه السلام نبياً لها ، يقدس أصحابها الكواكب و النجوم و يعظمونها ، ويعتبر الاتجاه نحو النجم القطبى الشمالى ، و كذلك التعميد فى المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة . . . ويدعى الصابئة المندائيون بأن دينهم يرجع إلى عهد آدم عليه السلام . . . و ينتسبون إلى سام بن نوح عليه السلام ، فهم ساميون (و أهم المراجع عنهم « الصابئة المندائيون » تأليف الليدى دارووز ، و « مندائى » تأليف عبد الحميد عبادة ، و « الكنزاريا وهو كتاب الصابئة الكبير » ، و منه نسخة فى خزانة المتحف العراقى) .

٢— اليهودية :

هى ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام المعروفين بالأسباط من بنى إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون

(١) أنظر ملف المذاهب و الأديان المعادية (قيد الاعداد و الطبع) بالندوة العالمية للشباب الاسلامى (الرياض) .

لهم نبياً ، و أهم الفرق اليهودية : الفريسيون ، و الكتبة ، و المتعصبون ، و القراءون ، و السامريون و كتبهم التوراة و الأسفار و الكتابات و التلمود و البروتوكلات ، (و من أبرز المراجع عنهم بعد مصادرهم المذكورة سابقاً : إظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والتوراة عرض وتحليل لفؤاد حسنين ، واليهودية لأحمد شلبى ، وخطر اليهودية لعبد الله التل) .

ـ الصهيونية :

هى حركة سياسية يهودية عنصرية عنيفة تسعى إلى تحقيق آمال اليهود بتخريب دول العالم لقيام دولة اليهود التى تسيطر على العالم .

وهى القومية اليهودية ولا فرق بينها و بين اليهودية ، وما يتظاهر به بعض اليهود من عدائهم للصهيونية إنما هو عن خطة مدروسة .

والصهيونية قديمة جداً فى تاريخ اليهود ولم تبدأ مع هرتزل كما يتصور البعض ، فكلمة صهيون ذكرت فى التوراة عدة مرات ، وهى التى حفزت يهود السبى البابلى إلى إعادة بناء هيكل سليمان ، وتطلق كلمة « صهيون » فى الأصل على جبل اليبوسيين فى القسم الجنوبى من القدس ، وحينما احتلها داود فكر فى بناء بيت الرب ثم جاء الملك سليمان فأنجز المهمة وصار الاسم صهيون يطلق على القدس كلها .

و اليوم يلتفت كل يهود العالم حول الصهيونية العالمية ذات الشبكات المترابطة متمثلة فى إسرائيل التى تتجثم على صدر العالم الاسلامى و تتوسع على حسابه ، منفذة للتعاليم الصهيونية المستمدة من التوراة و التلمودة و المصاغة فى بروتوكولات حكماء صهيون .

(و من أهم المصادر عنهم : بروتوكولات حكماء صهيون ، و القوى الخفية لفراى ، و مؤامرة الصهيونية العالمية للعطار ، و جذور البلاء لعبد الله التل ، و اليهودى العالمى لهنرى فورد) .

٤ـ الماسونية :

ـ الماسونية يقصد بها من حيث اللغة البناءون الأحرار .

ـ كانت تسمى فى عهد التأسيس (القوة الخفية) و من بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته .

ـ وهى فى الاصطلاح منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة و هدامة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم ، وتدعو إلى الالحاد و الاباحية و الفساد ، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار و يقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع و التخطيط و التكليف بالمهام .

فهى كما قال بعض المؤرخين (آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة و يخدعون الأمم و الشعوب الجاهلة) .

وتشترط على من يلتحق بها التخلى عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية ويسلم قياده لها وحدها .

قال الحاخام لاكويز « الماسونية يهودية فى تاريخها و درجاتها و تعاليمها وكلمات السر فيها و فى إيضاحاتها ـ يهودية من البداية إلى النهاية » .

أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد و الراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م وسميت (القوة الخفية) وهدفها التنكيل بالنصارى و اغتيالهم و تشريدهم ومنع دينهم من الانتشار .

و الماسونية وراء الويلات العديدة التى أصابت الأمة الاسلامية و وراء جل الثورات التى وقعت فى العالم فكانوا وراء إلغاء الخلافة الاسلامية وعزل السلطان عبد الحميد ، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية و البلشفية و البريطانية .

(و من أهم المراجع عن الماسونية : السر المصون للاب لويس شيخو ، و هيكل سليمان ليوسف الحاج ، و الماسونية لأحمد العطار ، و شهادات ماسونية لحسين عمر حمادة ، و أسرار الماسونية للجنرال رفعت آتلخان ، و تاريخ الماسونية لجورجى زيدان) .

٥ـ الروتارى :

هى منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية ، تعرف باسم « نادى الروتارى » Rotary Club ، و قد جاء هذا الاسم من التناوب (In Rotation) تلك العبارة التى صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادى الذين كانوا يعقدونها فى مكاتبهم بشكل متناوب ، و هدفها استنطاق الناس و تحليل كلامهم و استخلاص الأسرار منهم من حيث لا يشعرون ، و مبادىء الروتارى الحقيقية هى مبادىء الماسونية و إن أخفت ذلك مرحلياً (و من أهم المراجع عنهم : الماسونية فى العراء للشيخ محمد الزغبى ، وخطر اليهودية العالمية لعبد الله التل ، حقيقة أندية الروتارى من منشورات الكويت) .

شهود يهوه :

هى منظمة عالمية سرية التنظيم علنية الدعوة دينية و سياسية ظهرت بأمريكا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، تقوم بنشاط مكثف لفرض اعتقادها و أفكارها على العالم و هى تدعى أنها مسيحية و الواقع أنها واقعة تمت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم ، و هى تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذى عرفت به ابتداء من سنة ١٩٣١ و قد اعترف بها رسمياً فى أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم و ذلك سنة ١٨٤٤م .

و من أهم المراجع حولها ٤ كتابات باللغة التركية للاستاذ حكمت تانيو وهما ، وشهود يهوه لمحمد حرب ، و اليهودية لأحمد شلبى) .

الليونز :

إنها مجموعة نواد ذات طابع خيرى اجتماعى فى الظاهر ، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التى تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم لاحكام السيطرة عليه ، و مبادئهم فى الحقيقة هى مبادىء الروتارى و الماسونية نفسها و إن تظاهروا ببعض الأعمال الخيرية و الاجتماعية (و أهم المصادر عنهم : شهادات ماسونية لحسين حمادة ، و الموسوعة البريطانية (عن الماسونية و البنائين الأحرار) و جذور البلاء لعبد الله التل) .

يهود الدونمة :

هى جماعة من اليهود أظهروا الاسلام و أبطنوا اليهودية للكيد للمسلمين ، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى و أسهموا فى تقويض الدولة العثمانية و إلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد و الترقى . . . و لا يزالون إلى الآن يكيدون للاسلام ، لهم براعة فى مجالات الاقتصاد و الثقافة و الاعلام لأنها هى وسائل السيطرة على المجتمعات .

(و من أهم المراجع عنهم : مجموعة مقالات عن الدونمة لعلاء الدين غوسة ، و يهود الدونمة لمحمد على قطب ، و وثائق منظمات و عادات السباتاى لابراهيم غالانتائى) .

الروحية الحديثة :

هى دعوة هدامة و حركة مغرضة مبنية على الشعوذة تدعى استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية و تهدف إلى التشكيك فى الأديان و العقائد وتبشر بدين جديد وتلبس لكل نوعية لباسها .

ظهرت فى بداية هذا القرن فى أمريكا و من ورائها اليهود ثم انتشرت بسرعة

غربية فى العالمين العربى و الاسلامى .

تعرف فى أمريكا و أوربا باسم Spritualism

(و من أهم المراجع عنها : الروحية الحديثة دعوة هدامة ، للدكتور محمد حسين ، و العقل المسلم (موضوع محمد فريد وجدى) لعبد الحليم عويس .

التنصير :

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة فى دول العالم الثالث عامة و بين المسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب ، و وسائلهم التعليم و التطبيب و الرشوة للحكام ، و الأعمال الاجتماعية ، و تحديد النسل بين المسلمين ، والفتن ، و الحروب ، و خطرهم على أندونيسيا و نيجيريا واضح للغاية ، ر و من أهم المراجع عنهم : الغارة على العالم الاسلامى لشائلب ، والفكر الاسلامى الحديث لمحمد البهى ، و التبشير و الاستعمار ، لعمر فروخ .

المارونية :

هى طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين ، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ، ينتسبون إلى القديس مارون ، يعرفون باسم « الموارنة » متخذين من لبنان مركزا لهم .

يمتازون بالمحافظة الشديدة على تراثهم ولغتهم السريانية القديمة (و من أبرز المراجع عنهم : محاضرات فى النصرانية لمحمد أبو زهرة ، و النصرانية و الاسلام لمحمد الطهطاوى ، و تاريخ لبنان لفيليب حتى ، و تاريخ الطائفة المارونية لأسطفان الدويهى .

المورمون :

طائفة نصرانية جديدة منشقة تلبس لباس الدعوة إلى دين المسيح عليه السلام داعية إلى تطهير هذا الدين بالعودة به إلى الأصل أى إلى كتاب اليهود ، ذلك أن المسيح - فى نظرهم - قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد و ليمكنهم من الأرض ، إنها طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديس الأيام الأخيرة ، و التى تدين بالتبعية لنبيها الأول (يوسف سميث) و لكتابها المقدس (المورمون) وهم عملاء لليهود ولهم (١٧٥) إرسالية تنصيرية ولهم فى أمريكا شبكة تلغرافيونية و ٦١ محطة إذاعة و ٢ صحيفة .

و من أهم المراجع عنهم نشراتهم التى يوزعونها : ماذا عن المورمون ، ومقال فى الموسوعة البريطانية .

١٣- الاستشراق :

الاستشراق (Orientalists) هو ذلك التيار الفكرى الذى تمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامى و التى شملت حضارته و أديانه و آدابه و لغاته و ثقافته . . . و لقد أسهم هذا التيار فى صياغة التصورات الغربية عن العالم الاسلامى . . معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضارى بينهما ، و من أشهر المتعصبين ضد الاسلام منهم : جولدزيهمر ، و زويمر ، وما سينيون . و أربرى ، وجب ، و مرجليوت ، وما سيون ، ولا مانس ، ونيكلون ، و كراج ، و بلاشير ، و جوزيف شاخت ، وجيوم ، و غيرهم من النصارى (و اليهود أيضاً) كثير

١٤- الهندوسية :

هى ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند ، و قد شكلت هذه عبر المسيرة الطويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر ، إنها ديانة تضم

القيم الروحية و الخلقية إلى جانب المبادىء القانونية و التنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها فلكل منطقة إله ، ولكل عمل أو ظاهرة إله ، و من أشهر ، المراجع عنهم ! أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي، و محاضرات فى مقارنة الأديان لمحمد أبى زهرة ، و حضارة الهند لغوستاف لوبون ، و فلسفة الهند القديمة لمحمد عبد السلام .

١٥– المهاريشية :

نحلة هندوسية انتقلت إلى أمريكا و أوربا متخذة ثوباً عصرياً من الأفكار التى لم تخف حقيقتها الأصلية وهى تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدى (التجاوزى) بغية تحصيل السعادة الروحية، وكل الدلائل تشير إلى صلتها بالماسونية و الصهيونية التى تسعى إلى تحطيم القيم و المثل الدينية .

و من أشهر المراجع عنهم : أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعد الملل و النحل للشهرسانى ، و العقائد الوثنية فى الرسالة النصرانية لمحمد طاهر الشيخ .

١٧– الجينية :

هى ديانة منشقة عن الهندوسية ، ظهرت فى القرن السادس قبل الميلا على يدى مؤسسها (مهاويرا) وما تزال إلى يومنا هذا، إنها مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد ، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة و العيش ، بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب و الاثم و الخير والشر ، و هى تقوم على رياضيات بدنية رهيبة و تأملات نفسية عميقه بغية إخماد شعلة الحياة فى نفوس معتنقيها .

و من أشهر المراجع عن الجينية : مهاويرا مؤسس الجينية ، والفلسفة الجينية لمحى الدين الألوائى ، و حضارة الهند لغوستاف لوبون ، و أديان الهند الكبرى لأحمد شلبى ، و غيرها .

١٧– السيخية :

هى مجموعة دينية من الهنود الذين ظهروا فى نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر الميلادى و الداعين إلى دين جديد فيه شئ من الديانتين الاسلامية و الهندوسية تحت شعار (لا هندوس و لا مسلمون) و قد عادوا المسلمين خلال تاريخهم، وبشكل عنيف، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم ، و ذلك مع الاحتفاظ بالولاء الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند .

وحول السيخية نشرت سلسلة دراسات فى مجلة الجامعة السلفية ببنارس بالهند ، و مجموعة مقالات فى مجلة الدعوة المصرية بالقاهرة ، و فى دائرة المعارف البريطانية .

١٨– البوذية :

هى ديانة وضعية ظهرت فى الهند بعد الديانة البرهمية فى القرن الخامس قبل الميلاد ، و قد كانت فى بدايتها متوجهة إلى العناية بالانسان كما أن فيها دعوة إلى التصوف و الخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة و التسامح وفعل الخير، ولكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثنى ، و لقد غالى أتباعها فى مؤسسها حتى ألهوه .

و من المراجع المعروفة حول البوذية الملل والنحل للشهرستانى ، و الفصل فى الملل و النحل لابن حزم الأندلسى ، و مقارنة الأديان (الديانات القديمة) لمحمد أبى زهرة ، و فى العقائد و الأديان لمحمد جابر عبد العال .

١٩– الكونفوشيوسية :

الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين ، و هى ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذى ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس

و العادات و التقاليد الدينية التى ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً عليها من فلسفته و آرائه فى الأخلاق و المعاملات و السلوك القويم ، إنها تقوم على عبادة إله السماء أو الاله الأعظم ، و تقديس الملائكة ، و عبادة أرواح الآباء و الأجداد .

و من المراجع المعروفة حول الكونفوشيوستية : الحوار لكونفيوشيوس و الملل و النحل للشهرستانى .

٢٠ـ الطاوية :

هى إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة و التى ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن السادس لما قبل الميلاد ، و التى تقوم فى جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية و الوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة و المدنية ، و قد كان لها دور هام فى تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين و ذلك من خلال مسيرتها فى البحث عن إكسير الحياة و معرفة سر الخلود . .

و من المراجع المتصلة بالطاوية : الملك والنحل للشهرستانى وذيله من تاليف محمد سيد كيلانى ، والديانات والعقائد فى مختلف العصور لأحمد عبد الغفور العطار .

« رسالة إلى صديق قديم »

كان مغموراً ثم صار مشهوراً ! ! ! ؟

بقلم : فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، أما بعد .

فانه حين تشرق الشمس ، وتطل على العالم من بعد سبات . تبدأ الحياة سعيها وتنشر على الوجود ألوانها ، فتقع الأبصار عليها جميعاً فلا يختلط منها واحد بآخر إلا ما يكون فى أبصار أكلها طول الاطباق فلما لامسها ضوء الشمس ، و اشتباك شعاعها بخيوط رؤيتها ، اختلطت الألوان عليها فما عدت تميز واحداً من الآخر .

و الشمس تجرى بكل عطائها و حياتها لمستقر لها ، وهى تبدى لكل البشر صغيرهم و كبيرهم سيدهم و مسودهم ـ ألوان الحياة ـ إلى أن تؤذن بالرحيل عن الأرض وتحط رحالها عند أعتاب الآخرة فيصير الخفى ظاهرا و المكتوم بادياً و المفرح محزناً ، و المحزن مفرحاً ، و تكون الأرض غير الأرض ، و تطوى السموات جميعاً بيد خالقها ، و تنشر الصحائف على رؤوس الأشهاد . وتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء .

و لو أن الانسان أوتى معرفة ما فى صدور الناس ، لما كان للحساب الأخروى معنى ، إذ أنه سيختار لنفسه إن كان طيباً من هو طيب مثله ، وسيختار لنفسه ـ إن كان خبيثاً من هو خبيث مثله ـ فيعضد الطيبون بعضهم بعضاً ـ

فيكونون بذلك فى منأى عن الخبث الذى تنضح به أنفس الخبيثين ، أما الخبيثون فيدمر بعضهم بعضاً ، و يكون لهم فى ذلك وحده عذابهم وحسبهم به عذاباً .

لكن قضت إرادة الله وحكمته أن لا يعرف ما فى نفوس البشر إلا خالقها وحده فيختلط الطيب بالخبيث و يستقى هـذا من هذا حظه ، و ذاك من ذاك نصيبه ، فاذا ما نيل الطيب — كان له مذاق سائغ يسعد به الطيبون ، ويحرصون عليه خشية أن يفلت منهم ، ويكون لديهم شيئاً مما يمتعون به من الخبيث ، غير أن الخبيث يظل يرقب الطيب فى حذر و نفرة ، حتى إذا ما أبصر فيه ضعفاً ، استصال وربا و انتفش ، حتى لا يجرؤ الطيب حيناً من الدهر على الحراك ، ولو كان فى ذرى الجبال غير أن الخبيث يظل خبيثاً ، و الطيب يظل طيباً (و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، و الذى خبث لا يخرج إلا نكدا) و (مثل كلمة طيبـة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها) و (مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) والمؤمن — بنور إيمانه و صدق بصيرته — تنجلى له الأشياء على حقيقتها ، ويبصر ما لا يبصره غيره من البشر ، ويحيط علما بما لم يحط به غيره من الناس ، و هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، و إذ هو كذلك فان لا يخفى عليه - بأقل تفكير وتدبر - الآثار التى تتركها حركات النفس من ورائها ، و هى تتلاقى على الخير ، أو تعزف عنه - و قد بشمت - إلى الشر ، أو وهى لا تجد الرغبة إلا فى الشر المحض بما يحدث ذلك كله فيها من صراع ، يبرز فيـه الخير حيناً بروزاً وانياً ، ثم لا يلبث أن يختفى بما أوتى الشر من عنفوان و استطالة .

ومن حسن حظ هذه الأمة أن بعث الله لها نبياً من أنفسها يخبرها بالوحى المنزل عليه من ربه ما يكون عليه أمرها فى زمان ، هو أشبه ما يكون بزماننا

« يكون المؤمن فيه غريباً » و « أذل من النقد » و « يعلو فيه شأن الرويبضات » و « لا يجد فيه على الخير أعواناً » و « يتخذ الناس فيه لفتياهم رؤوساً جهالا » إلى غير ذلك مما دما المسلمين من بلايا ، و إن كان كل زمان يأتى يكون شراً من الزمان الذى قبله .

ولست بناء نفسى - و لا بمستطيع ذلك - عن زماننا هذا ، و لو كنت مستطيعاً ذلك ، لرجعت إلى ماض ملأ فيه نور الاسلام آفاق الحياة ، فلا أقل إذاً من أن يستذكر المؤمن ذلك النور و يستحضره فى نفسه ليقبس منه ما يبصره به طريقه التى يمشى فوقها ، فيخلص إلى رحبة النجـاة ، التى يتهادى فوقها النعيم الرضى السرمدى .

ولا يحسن بالمؤمن أن يحسن الظن بنفسه قدر ما يحسن الظن باخوانه المؤمنين ، فاحسان الظن بالنفس مسلمها إلى الغرور لا محالة ، و إحسان الظن بالمسلمين مسلمها إلى الائتلاف والرضا ، لكننا حملنا فى زماننا ما لا تطيق عقولنا من آثام النفوس وبلايا القلوب ، وضلال العقول ما لا قبل لحسن الظن به ، فينقلب المرء على نفسه ليجد فيها من الخير ما يزرع حقولا واسعة ، زرعها الناس شوكا ، فلا يجد بدأ من إحسان الظن بنفسه ، لا تغلبه على ذلك نفسه الامارة ، بل نفسه البصيرة ، التى ما أوى الشر إليها يوماً إلا ليمتنع بها عن إذابة الآخرين ، وما تأرق فيها الخير يوما ، إلا لأنه ليس بقادر على أن يصل الآخرين .

و أدنى منازل الخير فيه ، هى أعظم من الخير فى قئام من الناس و أعظم منازل الشر فيه ، هى أدنى منازل الخير فى سواد عظيم منهم ، فكيف بمثل هذا لا يظن الخير بنفسه ، ويسئ الظن بالآخرين؟ إنه لا يملك ذلك فهو مغلوب على نفسه أمام الظن فى زمان هذا حاله .

وما عهدت نفسى يوما فى حياتى إلا محسناً الظن بكل مسلم لكن الليالى وما أعظم ما تخفيه الليالى علمتنى أن أجعل اساءة الظن خطوة واسعة بطيئة للوصول إلى احسان الظن بالآخرين .

والمؤمن الحق هو الذى يفصل فصلا بينا بين إساءة الظن و إحسان الظن باساءة الظن بنفسه . أولا كيلا يحمله تصوره على الوقوع فى الخطأ ، وهو يرى لنفسه مالا يرى للآخرين ، و هذا هو المأمن الذى يكن المؤمن من الانحراف فى التصور الذى قد ينتهى به أخيراً إلى استحكام الانانية ثم لا يكون منه إلا الافساد ، أو القطيعة ، أو ما يوصله بهما من أسباب ، ثم لا يكون إلى عتبه من سبيل ، ولا إلى تقويم عوجه من حيلة ، لأنه صار لا ينهضه إلى عمل صالح منهض ، ولا يسره أن يرى فى الناس صلاحاً لا يكون على يديه ، إن غاب عنه شيطانه يوماً .

ولا ينفع المؤمن فى حياته شئ ما ينفعه اثنان ، الأول علم صحيح يسدد قلبه وعقله على منهاج النبوة و الخلافة الراشدة ، الثانى : خوف من الله يمثل له الجنة بنعيمها و النار بسعيرها ، فيكون فى منزلة بين المنزلتين وذلكم فى الناس قليل فى هذا الزمان فقد صار العلم وسيلة من وسائل التكسب ، فأذهب الله عن نفوس أهله التقوى ، و أزاغ قلوبهم عن لزوم الحق ، ونصرة أهله ، ومظاهرة احكامه .

و العلم الصالح رحم بين أهله ، يذوى شح النفوس ، و يذهب غيظ الصدور ، و يرفع أقدار بعضهم بعضاً فى عيونهم ، وما نرى عليه حال أهل العلم اليوم لا يؤلم النفس فحسب بل يكشف عن حقيقة سوداء مدلهمة وهى : أن العلم الصالح قد تودع منه وأضحى يحوم بمن بقى من أهله حول حمى الجهل و الجهالة يكادان يتخطفانهم تخطف الموت ، إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ، و إنما ينتزعه بقبض أهله ، حتى إذا مات أهله اتخذ الناس رؤوساً جهلا فاستفتوهم فأفتوهم فضلوا و أضلوا » .

و مما يؤكد هذه الحقيقة ما عليه أهل العلم من تنابذ ، و تنابز و تدابر ، و تشاحن ، و تهاتر ، و تباغض ، وكل منهم يظن الحق معه فينبرى بظنه هذا أن يجعل من غيره غرضاً يصوب إليه سهام بغضه ، باذلا جهده أن يجهز عليه ، غير ناظر إلى شئ إلا ما يحوكه صدره من خيوط « الأنا » ولا يتلذذ إلا بمضغ لحوم إخوانه ، و النيل من أعراضهم و إلصاق السخائم السوء بهم ، و هو يعلم أن الله فاضحه ، ومظهر سريرته و واقفه بين يديه و آخذ حقوق العباد منه ، وليس بنافعه يومئذ شئ مما كان يحرص عليه من دنياه التى لم يصب منه إلا شيئاً من جناح بعوضة .

وكثير منهم يأتيه النذير من ربه فى دنياه ، بما يصيبه من بلاء بكسب يده ، يحذره ليقلع عن سدوره فى أذيته ، و الاستطالة بلسانه ، و التربص الآثم ، وتتبع العورات وتسقط الهفوات ، والاتهام بالظن - والظن أكذب الحديث - والانتقاص من أقدار أهل العلم و التقوى من غير برهان ، فلا يكون شئ مما أصابه من كسب يديه بمنذره أو براده ، فلا هو أفاد عبرة مما كان له فى دنياه ، ولا أفزعه خوف مما ينتظره من ورائه فى أخراه ، فأى علم هذا الذى يحمله فى صدره ، ولا يحول بينه و بين هذه الأمور ؟ و إذا كان علمه لا يحول بينه و بين هذه الأمور فهل ينتظر من علمه أن يكون نافعاً للناس مصيباً منهم موقعاً يرون فيه حقا لله عليهم بهذا العلم ؟

ولست أكتب لكم لأظهر حقاً لى خفى عنكم زماناً ، ثم بدت بعض إماراته ، أو أنه ظل خافياً ، أو كان بادياً ثم اختفى فأذكركم به ، فلست والله بطامع فى شئ من ذلك البتة ، فمن أعسر العسير على النفس أن يكون للمرء أخ أو صديق ، يخفى عليه من أمر صديقه أو أخيه مالا يخفى على عدوه ، فلا يملك المرء - والحالة هذه - إلا أن يفوض أمره إلى الله سبحانه ، و أن يدعو لهذا الأخ أو الصديق بظهر الغيب أن يلهمه رشده و أن يصرف عنه السوء و أن يعيد إليه ود أخيه الذى نسى بذهابه حق أخيه عليه .

و أعلم - و يشهد الله - أنى أدعو بظهر الغيب لمن أساء إلى كما أدعو لمن أحسن إلى . أدعو له أن يغفر له ذنبه ، و إن يتجاوز عن خطيئته ، و إن يهدى قلبه ، و يرده بالاحسان لمن أساء إليهم من إخوانه المسلمين ، أما المحسن ، فلا اتخير له الدعاء تخيراً فحسب ، بل أسأل الله أن يلهمنى إياه إلهاماً ، فمن أحسن إلى فلنفسه أحسن ، و من أساء إلى فلا ينتظر منى رداً على إساءته بمثلها ، بل عفواً وصفحاً و دعاء بظهر الغيب و إحساناً ما استطعت .

و أين هذا اليوم من أهل العلم ، إنها نعمة عظيمة ، حرموا أنفسهم منها ولو أنهم ذاقوها لما فرطوا فيها ، بل لحرصوا عليها حرصهم على أموالهم . وأنفسهم ، و أهليهم ، و الحرمان لا يفضى بالمرء إلا إلى ما هو أعظم منه شراً .

و لا أدرى والله متى سيدرك أهل العلم أنهم على خطر عظيم و أن رداء العلم الذى كانوا يتزينون به ويستر سوءات نفوسهم قد مزقوه ، و أن القدوة التى كانت لمن سبقهم - بعلمهم - قد أزهقوها ، و جعلوها أرباً و أشلاء ، و أن العزة التى قد أمسكوا عزتها يوماً ، قد أفلتت منهم ولن تعود إليهم ، إلا أن يغيروا و يبدلوا تلك الحال التى لبستهم زماناً طويلا .

و إذ كانت ألسنة السوء والنفاق التى شرقت بالسوى قد أرادتك أن لا ترى عندى إلا أذى تخشاه منى ، أو كان الخلاف فى الرأى قد أجفاك عنى ، أو كانت رؤيتك الحق فيما تذهب إليه وحده دون سواه قد أمالك به إلى غير وجهى ، أو كان تقديرك لأسباب الاخوة قد أقصاك أو قل أقصانى ، إن كان شئ من ذلك أو غيره كان ، فأعلم : إنى - و الحمد لله - أخشى ربى ، و من كان كذلك لا يخشاه المؤمنون - و إنى و الحمد لله - قد أدركت بفضل من الله - قدراً من العلم الصحيح ، و من كان كذلك فلا يبخس من كان مثله حقه فى العلم ، و إن كان لا يرى نفسه فوق الآخرين ممن ليسوا هم مثله ، و إننى و الحمد لله قد شغلت بعيبى أصلحه ، و من شغله عيبه فلا يبحث عن عيوب الآخرين .

واعلم أننى قد أمسيت أخشى ملاقاة ربى ، و من كان كذلك ، فلا يؤذيه لغو ألسنة الدهماء ، وقد أمضيت عهداً مع ربى أن أحيا لهدى نبيه ﷺ ، وهدى خلفائه الراشدين من بعده ، و من كان كذلك فهو مجهد نفسه فى تحصيل ركبهم ، للفوز معهم بمنزلة الرضوان الأكبر ، والله سبحانه حافظه و رازقه ، ومحبه ، ومسدده .

و الدنيا لا تعظم إلا فى قلوب الأشقياء و الآخرة لا تعظم إلا فى قلوب السعداء و من عظمت فى قلبه الدنيا هانت عليه الآخرة ، و من عظمت فى عينه الدنيا كفى هم الدنيا و الآخرة ، و إنى أحمد الله عز وجل - و أرجوه - أن أكون من الذين يعمرون آخرتهم بالسعى الصالح فى دنياهم .

و من رام الهدى فى غير الحق الذى جاء به محمد ﷺ من عند ربه ، فقد أمسك بذنب الضلالة ، و من وجد فى قلبه حلاوة الصبر ، أمعن فى طلب الحق ، و من أسلم نفسه لذى الجلال ، فقد رضى لها بحسن المآل ، و من آب عن خطيئته الفكر من موروث الاعتقاد الفاسد ، و إقتفاء التقليد الباطل فقد نجى ، وأنجى ، و من لبس الحق على الناس فقد هلك و أهلك .

و أود أن تعلم أنه لم يكن لى يوماً باطن وظاهر فى آن معاً ، ظاهر يوالى ، و باطن يعادى ، وحسبى أننى أعلم من نفسى هذا ، و ما من شك أن هذا شئ باهظ على النفس فى زمان صار فيه حبل النفاق ينتظم السواد الأعظم من الناس فى مجتمع المسلمين و صار فيه أمره ظاهراً بما يجنيه المنافقون من منافع ، و أدنى درجات النفاق اليوم تفزع قلب المؤمن ، ويقشعر لها وجدان المسلم ، و المنافق و هو يضع على منكبيه ثوب النفاق يعلم علم اليقين أنه ثوب لن يستره طويلا ، و أنه سيعرى و تظهر سوأة نفاقه على أعين الناس جميعاً ، ومع ذلك يصر على نفاقه ويحسب أن من ينافق له يزيد فى رزقه أو أجله ، ولا يحسب إلا أنه يدرى أنه كاشف نفاقه .

و أبشع ما يكون النفاق أن ينافق أهل العلم بعضهم لبعض ، و العلم هو

السوط الجاسى الذى سلطه الله على النفاق ليبدى سوءاته الخبيثة للناس جميعاً ، وهو بيد أهله ، فاذا أسقطه أهله أسرع إليه غرهم ليقطعوه ليظل نفاقهم سالماً معافى .

و أحسب أنى و الحمد لله ما سلكت يوماً مع إخوانى من أهل العلم إلا و ذلك السوط بيدى ، أقبض عليه - و لا زلت - فى حرص و حذر شديدين و لكأنى أحمل على ودعه على الأرض حملا ، فى مكان أنا فيه ، لا يحسن مطلقاً أن يؤذن للسان أن يهمس فيه بالنفاق همساً ، فآليت على نفسى أن أظل متمسكا به إلى أن يأذن الله لى أمراً من عنده ، فهل صار هذا عيباً يؤخذ فيه الانسان غدراً وكيداً ؟ وهل يعاب على واحد أن يذكر غيره من إخوانه بما يجب أن يكون عليه أهل العلم جميعاً من ترفع وتعفف وتآلف وغير ذلك من مكارم الأخلاق ؟

وليس مجترؤ أعظم اجتراء من واحد يقرأ قول الله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » و قوله « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا و الآخرة » و قوله ﷺ « إياكم و الظن فان الظن أكذب الحديث » ثم لا توافيه إلا ساعياً فى الناس ينشر حول إخوانه ظلال الريبة ، ويلبسهم أردية الافك ويدعى عليهم زوراً ما ليس فيهم ، ولا يسره إلا أن يسمع فيهم سوأ ولا يبهج قلبه إلا ما ينقل له من باطل عليهم ، ثم يسول له الشيطان أنه إنما يفعل ذلك من باب التحذير منه ، أو تنبيه الناس إلى خطر يأتيهم منه أو إعلامهم بسوء يطويه فى صدره قد يدركهم ضره ، و هكذا .

و أعلم رعاك الله أنى ما جربت على نفسى - ويعلم الله - إلا ما يحرص على نفع إخوانه المؤمنين ، وخير الناس أنفعهم للناس ، ولا يؤمن الانسان حتى يحب لاخوانه ما يحب لنفسه و لا يرجو رحمة ربه إلا ان رجا لهم ما يرجوه لنفسه ، و أسأل الله سبحانه أن يجعلنى فى السابقين من رحمته الظانين بالله خيراً .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

القدوة الصالحة
أسلوب تربوى ناجح

الأستاذ حسنى أدهم جرار
المعهد الدينى الثانوى ، الدوحة — قطر

للقدوة الصالحة أثر كبير فى حياة الناس . . فهى أسلوب تربوى ناجح ، و عامل أساسى هام لبناء الانسان المسلم فى هذه الحياة . .

و لقد كان للمنهج التربوى الفريد الذى ربى عليه الاسلام أبناءه أثراً كبيراً فى واقع المسلمين التاريخى . . فلم يعد الاسلام نظريات مجردة ، ولا مجموعة ارشادات و مواعظ ، و إنما عاد نماذج إنسانية تعيش ، و وقائع علمية تتحقق ، و سلوكا و تصرفات ترى بالعين ، و تسمع بالأذن ، و تترك آثارها فى واقع الحياة وعلى مدى التاريخ . . لقد أوجد نماذج بشرية صاغها صياغة جديدة ، و أنشاها نشأة أخرى ، فأصبحت و كأنها مصاحف تمشى على الأرض . .

و احتفظ تاريخ الاسلام فى نشأته ، و على مدى عصوره ، بوقائع و أحداث و نماذج كثيرة من التضحية المؤثرة ، و الشجاعة النفسية ، و التفانى فى العقيدة ، و الومضات الروحية و الفكرية البارعة ، و البطولات الحية فى شتى مناحى الحياة . .

لقد صاغ الاسلام هذه النماذج الفريدة لتكون قدوة متميزة للأجيال ، وجعل فى كل فرد منها نموذجاً مجسماً للاسلام يراه الناس فيرون الاسلام . .

هذه النماذج الطيبة المباركة كان لها أبلغ الأثر فى انتشار الاسلام و الاقبال

عليه فى القديم و الحديث و على مر الأيام و الأعوام فى مشارق الأرض و مغاربها . . ويكفى أن نعرف أن التاريخ روى لنا بافتخار و إعجاب أن الاسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجزر مالديف ، و إلى الملايو و اندونيشيا و الفلبين و سواحل الصين ، و وصل إلى أواسط أفريقيا فى نيجيريا و السنغال و إلى تنزانيا و الصومال ، وكثير من البلدان . . بواسطة تجار مسلمين ، و دعاة مؤمنين صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الاسلام فى سلوكهم و تعاملهم و أمانتهم و صدقهم و وفائهم . . ثم بالكلمة الطيبة و الموعظة الحسنة . . فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، و اعتنقوا الاسلام عن رغبة و اقتناع و إيمان . .

لقد تميز هؤلاء الدعاة بأخلاقهم ، و عرفوا بحسن معاملتهم ، فاقتدى بهم الناس وتبعهم فى دينهم ملايين البشر .

من هذا يتبين لنا أن لابد فى الحياة من قدوة صالحة ، ومثل أعلى ترنو له الأعين و تنجذب إليه النفوس . . و لابد من أخلاق فاضلة يستمد منها المجتمع الخير و تترك فى الأجيال أفضل الأثر .

القدوة الصالحة وسيلة تربوية للنشء و الشباب :

القدوة من أهم الموضوعات التى تلعب دوراً كبيراً فى اتجاهات و سلوك النشء و الشباب فى فترات تكوينهم الأولى . . و هى أنجع الوسائل المؤثرة فى إعداد الجيل الناشىء خلقياً ، و تكوينه نفسياً و اجتماعياً . . ذلك أن المربى هو المثل الأعلى فى نظر الطفل الناشىء ، و الأسوة الصالحة فى عين الولد . . يقلده سلوكياً ، و يحاكيه خلقياً من حيث يشعر أولا يشعر . . بل و تنطبع فى نفسه و إحساسه صورته القولية و الفعلية و الحسية و المعنوية . .

و من هنا كانت القدوة عاملا كبير فى إصلاح الولد أو فساده .. فان كان

المربى صادقاً أميناً كريماً شجاعاً عفيفاً . . نشأ الولد على الصدق و الأمانة والكرم و الشجاعة و العفة ، و إن كان المربى كاذباً خائناً بخيلا جباناً متحللا . . نشأ الولد على الكذب و الخيانة و البخل و الجبن و التحلل . .

إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيماً ، و مهما كانت فطرته نقية سليمة . . فانه لا يستجيب لمبادىء الخير و أصول التربية الفاضلة مالم ير المربى فى ذروة الأخلاق ، و قمة المثل و القيم . . فمن السهل على المربى أن يلقن الولد منهجاً من مناهج التربية . . و لكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ، ويقوم على توجيهه غير ملزم بهذا المنهج و غير مطبق لأصوله و مبادئه على حياته .

العوامل التى تساهم فى تكوين القدوة :

يحاول كل مجتمع من المجتمعات أن يشكل القدوة التى تصلح له فى ضوء المصالح الخاصة به .. و ذلك عن طريق الأجهزة المتخصصة فى التنشئة التربوية ، كما يحاول أن يؤثر عن طريق وسائل التربية المختلفة فى التقديم العناصر الملائمة لكى يقتدى بها النشء و الشباب محققاً بذلك الفلسفة التى يسعى لارساء قواعدها داخل المجتمع .

و القدوة تختلف باختلاف مراحل العمر التى يمربها الفرد ، فقد يتأثر الأطفال مثلا بالقدوة المحيطة بهم داخل الأسرة و داخل المدرسة و فى محيط المجتمع الصغير الذى يعيشون فيه . . فهم يتأثرون بسلوك الوالدين و المدرسين و الجيران مثلا . .

أما الشباب فيعتمدون على خبراتهم الذاتية و ملاحظاتهم الخاصة لنشاط و أعمال القيادات المحيطة بهم فى كافة الميادين ، و كذلك من خلال الاطلاع

و القرارات الثقافية و من خلال تعرفهم على الفترات التاريخية السابقة فضلا عن أحداث الحياة الاجتماعية التى يمرون بها ، وما يمكن أن تمثله من فرص للتعرف على قيادات فى كافة الميادين يحتمل الاقتداء بها .

و من خلال الأحداث التى يمر بها المجتمع قد تبرز بعض الأمثلة الايجابية للقدوة إن سلطت عليها الأضواء أصبحت فرصاً تربوية طيبة للنشء و الشباب لكى يقتدوا بها . .

و على النقيض من ذلك قد تبرز أيضاً بعض الأمثلة السلبية للقدوة التى إن لم يتخذ المجتمع إزاءها الاجراءات اللازمة للحد منها . . أصبحت فرصاً تربوية غير طيبة للنشء و الشباب لكى يقتدوا بها كذلك .

ولا شك أن القدوة تختلف من مجتمع لآخر فى ضوء الفلسفة العامة للمجتمع ، و أن النشء و الشباب يتخذون القدوة من القادة الذين تعرفوا عليهم من خلال أجهزة التنشئة التربوية و الاعلامية داخل المجتمع . . لذلك فهم فى حاجة ماسة إلى وجود القدوة . . وحيث إن القدوة تلعب دوراً محدداً فى تشكيل اتجاهاتهم ، كان من الواجب أن تحدد أدوار كافة الأجهزة التربوية نحو مساعدة الشباب فى تقديم القدوة الصالحة و إبعاد القدوة غير الصالحة فى ضوء ظروف المجتمع التى ترتبط بفكره و عقيدته .

أصول القدوة الصالحة :

إن القدوة الصالحة التى يكون بها المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع إلى أصلين كبيرين .

الأول حسن الخلق . . و الثانى موافقة العمل للقول . . فاذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة المسلم و أصبحت سيرته الطيبة دعوة صامتة إلى الاسلام . .

و إن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوة صامتة منفرة عن الاسلام .

الأصل الأول للقدوة الصالحة :

الأصل الأول هو «حسن الخلق» . . و من الأخلاق الاسلامية التى لها صلة وثيقة بعمل المسلم ويحتاج إليها حاجة ملحة إذا أراد النجاح فى عمله الطيب المبرور .

أولا : الصدق :

ففى كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتحدث عن الصدق و فضيلته و تأمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين) (١) كما أن الصدق ينفع العبد وينجيه يوم القيامة من سخط الله و يؤدى به إلى الجنة (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم) (٢) .

ثانياً : الصبر :

الصبر من فروض الاسلام . . وهو نصف الايمان و ذكره القرآن الكريم فى أكثر من ثمانين موضعاً آمراً به (و استعينوا بالصبر و الصلاة) (٣) . . و المسلم القدوة لا بد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى لأنه لا بد أن يحصل له أذى ومضايقات . فان لم يكن حليماً صبوراً كان كما يقول ابن تيمية « ما يفسد أكثر مما يصلح » . . و قد أمر الله تعالى بالصبر (يا بنى أقم الصلاة و أمر بالمعروف وانه عن المنكر و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ،

(١) سورة التوبة : الآية ١١٩ . (٢) سورة المائدة الآية ١١٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٥ .

و قال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (١) . . بل إن الصبر مقرون بتبليغ الرسالة مما يدل على أهميته للمسلم . . فان أول ما أنزل على محمد ﷺ بعد أن بلغ بالرسالة (يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، و ثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، و لا تمنن تستكثر ، و لربك فاصبر) (٢) فافتتح آيات الارسال إلى الخلق بالأمر بالانذار و تبليغ الدعوة ، وختمها بالأمر بالصبر .

ثالثا : الرحمة :

فالمسلم القدوة لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة و الشفقة على الناس و إرادة الخير لهم . . و الرحمة من الأخلاق الضرورية للمسلم ، و قد ورد فى السنة النبوية قول الرسول ﷺ : « لا يرحم من لا يرحم الناس » « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » « الراحمون يرحمهم الله تعالى ، إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

و من صفات المصطفى عليه السلام.. رحمته وشفقته على أمته.. قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣) .

رابعاً : التواضع :

التواضع ضد الكبر ، وهو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس ، فلا يمكن أن يتكبر إنسان عرف ربه و عرف قدر نفسه . . و المسلم القدوة أحوج من غيره إلى خلق التواضع ، فهو يخالط الناس و يدعوهم إلى الحق و إلى أخلاق الاسلام .

(١) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ .
(٢) سورة المدثر الآية ١ – ٧ .
(٣) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

و من طبيعة الناس التى فطرهم الله عليها أنهم ينفرون عن المتكبر و يغلقون قلوبهم دون كلامه و إرشاده . . فلا يصل إليها من قوله شئ بل قد يكون سبباً إلى كرههم الحق منه . .

و من السوابق القديمة فى أهمية السيرة الحسنة وحسن الخلق للمسلم القدوة و أثرها فى تصديقه . . أن خديجة بنت خويلد رضى الله عنها عندما أخبرها رسول الله ﷺ بما حدث له فى غار حراء قالت له : « أبشر والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث و تحمل الكل وتعين على نوائب الدهر . ، وعدت أوصافاً أخرى جميلة من أخلاقه تصديقاً منها له و إعانة له على الحق .

الأصل الثانى للقدوة الصالحة :

الأصل الثانى هو « موافقة العمل للقول » . فلا بد أن يحذر المسلم القدوة من مخالفة أفعاله لأقواله فان النفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه و لا يوافق فعله قوله . . و لهذا حذرنا الله سبحانه و تعالى من مخالفة أفعالنا لأقوالنا . . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (١) . . فعلى المسلم أن يحمل نفسه دائماً على موافقة أفعاله لأقواله فان هذا أدعى للاقبال عليه و قبول قوله .

تربية النشء و الشباب على القدوة :

الاسلام يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية . . فهو يقيم تربيته على هذا الأساس . . و ينظر إلى القدوة على أنها أعظم وسائل التربية تأثيراً على النفوس و توجيهاً للسلوك .

(١) سورة الصف الآية ٢ – ٣ .

ولهذا لابد من تربية الشباب على القدوة الصالحة لينشأوا منذ نعومة أظفارهم على حب الاسلام و رسوله ، و ليتطبعوا على الصفات الفاضلة النبيلة و الأخلاق السامية الرفيعة .

و تربية الأولاد تتأثر بالمجتمع الذى ينشأون فيه و الأسرة التى يتربون فى ظلها . . فالأسرة هى المحضن الذى يبزر فى نفس الطفل أول بذوره ، و يكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه ، ومن ثم ينبغى أن تكون أسرة نظيفة أسرة مسلمة ، حتى ينشأ جيل مسلم يحقق فى نفســه مبادىء الاسلام و أخلاقه يأخذها بالقدوة المباشرة ، المنقولة عن الرسول عليه السلام .

و كما أن للاسرة ، دورها الكبير فى تربية النشء و الشبـاب ، فان للمجتمع دوراً هاماً و خطيراً ، يتمثل بجهازين كبيرين هما .

جهاز التربية و التعليم ، و جهاز الاعلام .

أما جهاز التربية و التعليم :

فهو الجهاز الذى تأتمنه الأسر على فلذات اكبادها ليعمل على تربيتهم وتثقيفهم وإعدادهم لتحمل مسئوليات الحياة ، وليكونوا أعضاء نافعين ولبنات صالحة لبناء المجتمع .

و هذا الجهاز يقوم على ركنين أساسيين :

أولهما : المنهج :

وخير منهج لتربية النشء هو منهج الاسلام ، والمتدبر لآيات القرآن الكريم و الهدى النبوى الشريف يجد كنزاً ثميناً من التوجيهات التربوية و العلمية لا يوجد فى تراث أى أمة ، فهو منهج يعالج جوانب الانسان كلها المادية والروحية ، ويعمل على تكوين الشخصية الاسلامية المتكاملة .

و ثانيهما المدرس :

و حتى تتحقق الغاية المرجوة من التربية و التعليم لا بد أن يكون المدرس

قدوة صالحة لطلابه ، قدوة فى خلقه و سلوكه ، قدوة فى إيمانه وعلمه ، بل لا بد أن يكون كالشمعة تحترق لتنير الطريق للنشء و الأجيال .

و أما جهاز الاعلام :

فانه لا يقل أهمية و لا خطراً عن جهاز التربية و التعليم و خاصة فى هذا الزمن الذى تعددت فيه وسائل الاعلام و تنوعت ، من إذاعة و تلفاز وأشرطة فيديو وصحف ومجلات ، و أصبحت على كثرتها تزاحم الأسرة والمدرسة فى التأثير على الناشئة ، بل و تشدهم إليها شداً و تستأثر بهم عما سواها .

و من هنا يكمن الخطر فى جهاز الاعلام ، خاصة و إن الكثير مما تقدمه أجهزة الاعلام فى البلاد العربية مستورد من خارجها ، و مصمم بقصد إفسادنا ، إنه غزو فكرى جديد يروج للقيم و المبادىء التى تخدم أعداءنا ، و تعرقل عمليــة التقدم نحو الاسلام .

إنه استخدام لأساليب الايهام والايحاء بأن الاسلام هو سبب تأخر المسلمين و أن المذاهب الأخرى هى سبب تقدم أصحابها ، حتى يتوهم الشباب أن التقدم قرين التخلى عن دينهم و قيمهم ، إلى التبعية للشرق أو الغرب .

إنه استخدام للجانب الغريزى فى الانسان للتأثير عليــه باعلاء شأن الجنس و اللذة واللهو وتعاطى المخدرات ، وترويج للاهواء والرغبات الفردية الشاذة لتوسيع دائرة التحلل و تمكين السيطرة و الظلم .

إنه ترويج للاعمال التى تبدد العقل وتهدد الطاقات الانتاجية وتصرف الشباب إلى اللهو و ضياع الانتاج ، مثل الغناء المثير و باشاعة مقدمات الجنس و محركات الشهوة كالرقص و العرى .

إنه تهديد للامن و الاستقرار النفسى للفرد و للمجتمع بيث وسائل الرعب

و التخويف من قدرات أعدائنا و وسائلهم المتطورة ، لاتاحة الفرصة للتوتر والانانية و الصراع و السلبية و اللامبالاة و كل ما يخدم أعداء الاسلام .

لذلك لا بد من إعلام عربى إسلامى يصبغ الحياة صبغة إسلامية ، و يؤثر فى الانسانية تأثيراً إيجابياً بناء ، و ذلك يبنى قضايا النشء و الشباب و معالجتها على نحو يوائم الفطرة ويقنع العقل ويحقق مطالب النفس فى الأمن والسعادة والتقدم.

و الاسلام يرقى باهتمامات الناس ، و يعمل على إعلائها إلى ما يستحقه الانسان المكرم بفضل الله ونعمة العقل، ويحقق للنفس طمأنينة وسعادة لا تجدهما بدونه، وعلى هذا يمكن أن تعمل وسائل الاعلام الحديثة، فتحرك الفطرة المتسائلة و تجيبها بما يقنعها و يحقق لها الاستقرار و الدعة .

و هكذا يرتقى الاعلام الاسلامى باهتمامات الناس ، ولا ينزل إلى مستوى حيوانيتهم و غرائزهم بدعوى إرواء اهتماماتهم ، فيميز بين دواعى الانسانية و دوافع الشهوة ليعطى الأولى ما يحفظها وينميها، ويوقف الأخرى عند حدودها المشروعة .

لقد تميز المسلمون برقى اهتماماتهم فلم تعد الشهوات مزينة لهم بل حبب الله إليهم الايمان وزينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان ، و إذا ما تميز رجال الاعلام المسلمون بهذه الصفات ، استطاعوا أن يقدموا للنشء والأجيال كل ما يحبب إليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

وهنا يبدأ الاعلام الاسلامى طريقه نحو تدريب الناس على الفضيلة وجذبهم إليها و تحبيبهم فيها ، و من هنا أيضاً تبدأ خطوات المجتمع نحو التقدم الحقيقى ، و تبدأ اهتمامات الناس فى الرقى ، و يبدأ الاعلام فى إرواء هذه الاهتمامات الراقية ، فيشتاقون إلى أخبار القادة المجاهدين و العاملين ، و المخترعين المخلصين المنتجين فى كل ميادين الحياة، بدلا من اشتياقهم إلى أخبار الراقصين و المطربين .

ويبدأ المجتمع تطبيق قول الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطتم من قوة) ، ويعد الآباء أبناءهم على هدى الاعلام الاسلامى فيعلمونهم الصلاة لسبع ، ويعلمونهم السباحة والرماية و ركوب الخيل ، و يعلمونهم الاقتداء بالقادة والعلماء ، ويدربهم ، على حب الخير بتعريفهم طريقه .

إذن لا بد للطفل أو الفتى أن يجد من أبويه و مربيه القدوة الصالحة فى كل شئ حتى يتشرب مبادىء الخير و يتربى على أخلاق الاسلام ، و لا بد له أيضاً من أن يتعلم سيرة رسولنا الكريم و سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، و ذلك ليتطبع الفتى بصفات المكارم و الكمال ، و يشب على خلق الشجاعة و الاقدام ، حتى إذا بلغ سن الرشد ما عرف قائداً ولا قدوة ولا مثلا أعلى ، سوى محمد عليه الصلاة و السلام و صحبه الكرام ، يقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن »

إذا حققنا هذا للفتى أو الشاب ، و هيأنا له : المدرسة الصالحة ، و الرفقة الصالحة ، و الجماعة الصالحة ، و المجتمع الصالح ، فانه يكتسب التربية الايمانية ، و التربية الخلقية ، و التربية الجسمية ، و التربية النفسية ، و التربية العقلية ، بل و يصل إلى ذروة الكمال فى رسوخ عقيدته ، و سمو أخلاقه ، و قوة بدنه ، و نضج عقله و علمه .

و أخيراً فان التربية بالقدوة ، القدوة برسول الله ﷺ ، و القدوة بالصحابة رضوان الله عليهم ، و القدوة بقادة الاسلام الميامين ، و القدوة بعلماء الاسلام المخلصين ، ثم القدوة بالوالدين المؤمنين ، والرفقة الصالحة ، والمربى الفاضل ، هذه التربية بالقدوة من أعظم العوامل المؤثرة فى إصلاح الفتى الناشئ ، و إعداده لعضوية المجتمع و الحياة .

و بهذا يتحقق قولنا « القدوة الصالحة أسلوب تربوى ناجح » .

علم النفس الاجتماعى :

العلوم الاجتماعية و المعارف الانسانية

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء

و ليس من الصعب العسير ما لو إذا أضيفت العلوم الاجتماعية فى المناهج إلى جنب العلوم الخلقية و الفكرية ، و بوجه خاص إذا كانت لا تثير رداً ولا نكيراً من وجهة النظر الاسلامية ، بل يراها الاسلام بعين الاستحسان ، و يعطى لها الجدارة بالاختيار ، فان « الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق بها » بذلك و أمثاله حض نبى الاسلام على الخوض فى خضم العلوم و البحث عن الاضافات النافعة ، و إن متطلبات الانسان الاجتماعية تتغير و تتنوع و تزيد على مر الأيام و متغيرات العصور ، و فى العصر المعاصر خصيصاً ليس لمن يعيشه محيص عن الالمام بالعلوم و المعارف الاجتماعية لتقلص المسافات و تدانى أجزاء العالم و تقارب أصقاعه بفضل التطورات الحديثة فى وسائل النقل و المواصلات و لأجل تشابك الوشائج و توطد العلاقات بين الانسان و الانسان و فيما بين المجتمعات ، و عدم العثور عليها فى النشاطات و الحياة العملية عموماً قد يعرض الانسان للضرر و الاخفاق لما تتعلق بها جوانب عديدة من مقتضيات الحياة ، فقد عادت علوم الجغرافيا و التاريخ و المدنية و السياسة و الاقتصاد و علم النفس و الحساب و مبادىء الصحة حاجة أكيدة لواقعنا المعاش ، و يتوجب على مناهجنا القديمة أن تقبل هذه الأجزاء والفصول من المنهج الجديد و تتفسح لها اصالحها .

و هذا الجزء هو مما انقسمت فيه مدارسنا الدينية إلى طائفتين من قديم ، وقد سبقت ندوة العلماء بفضل التقدم حيث استرعت حركتها انتباه تلك المدارس إلى أهمية العلوم الاجتماعية و صرفت جهودها فى ذلك ، و انتهى الأمر و بعد صراع عنيف يمتد لعدة عقود أن اعترف عدد كبير من المدارس الدينية بأهمية الدراسة لهذا الجزء من العلوم العصرية و قد بدأت الجهود و طلائع التنفيذ تبدو على شكل ملموس .

منهج المدارس العربية :

وبعد الاعتراف بهذه الحقيقة ينبغى أن ينضم إلى المناهج فى مدارسنا العربية ثلاثة أجزاء هامة و أساسية ، الأول جزء اللغة و الأدب حسب حاجتنا إليهما بوصفنا أحياء بشرية نتعايش فيما بيننا ، و الثانى جزء العلوم الدينية و الأخلاقية التى تتناسب و أوضاعنا و قيمنا الخلقية و الدينية ، و الثالث ما يتطلبه العصر والحياة من العلوم الاجتماعية ، أما العلوم الطبيعية فيمكن الاقتناء منها بعد استكمال النصيب اللازم و الحاجة الجذرية من العلوم السالفه عاليه ، لكل من يرغب فيها و على قدر ما يحتاج ، إلا أن معرفتها كمعارف عامة إجمالية فلا بد منها ، فينبغى إدراجها فى المناهج كضرورة حتمية باسم الدراسات العامة بل و يجب فى بعض الأحيان ، فاذا قامت مناهجنا على هذه الركائز المتينة التى أسلفنا ذكرها تيسر الوصول إلى تلك الأهداف و النتائج التى تحقق متطلباتنا الاجتماعية و الفردية فى عصرنا المليئ بالأحوال المتجددة و الظروف المتغايرة اللامتناهية و المشاكل العصية .

و عند عدم الاعتراف بهذه الحقائق و إنكار أهميتها أو غض الطرف عن أجزائها اللازمة و الاهمال فى شأنها لا يستبعد أن يلحق كل ذلك بالمجتمعات و الأفراد معا من الخسران و الضرر بقدر ما فرط من الغفلة و الاهمال .

علاقة التعليم بمختلف الجوانب الانسانية و تأثيره فى الطفولة :

إن الأساليب التعليمية التى مضى ذكرها فى الصفحات السالفة إنما ترتبط من أعمار الأطفال بعهد النشأة و الترعرع فيما تفوق صلاحيات الأحداث فطرياً للتعلم و الأخذ و الدراسة ، يساعد فى ذلك عقله و ذاكرته و يتلقف الذهن كل ما يلقى عليه من المعلومات و يعيه ، و لأجل ذلك فان النظم التعليمية تدار رأساً للاحداث ، ولهم يحدد منهج التعليم الكتابى إلى حد ما ، حتى يسير العمل التعليمى على درب محدد و خط مرسوم و لكن بانتهاء سن الحداثة تنتهى صلاحية الأخذ للعلوم و المعارف أو لا تبقى طويلا فى الغالب ، فلا يستطيع الانسان التعليم و الدراسة و تلقى المعلومات كما يستطيعه و هو حديث السن .

تعليم الكبار :

فى نظام التعليم و التربية لمن يتجاوزون سن الحداثة لا بد من أخذ هذا الجانب بالاعتبار ، و تتخذ لهم طرائق تلائم و كفاءاتهم و صلاحياتهم النفسية .

و أمثال هؤلاء فى معظم الأحوال هم المجال الأول و الرئيسى الذى تزاول فيه التربية الاجتماعية ، ويحتوى عمل التربية و التعليم على النظم المحددة و الطرائق الأخرى على السواء . و فى الطرائق الأخرى تختار وسائل و امكانيات المدرسة و إمكانياتها ، و هى تكون أكثر اتساعاً و عمومية بالنسبة لها و سيأتى ذكرها فى الصفحات القادمة إن شاء الله .

دائرة عمل الثقافة :

من أهداف التربية تثقيف الانسان و تصنيعه ، والثقافة رصيد العلم الانسانى الذى يتعلق بالجوانب العديدة من حياته و هذه الجوانب تنقسم إلى ثلاثة أجزاء

مما ينتمى إلى نفس الانسان بأقرب وشيجة ، الأول ما يتعلق بقلبه و روحه والذى يظهر به العبد ما بينه وبين الله من علاقة ، والثانى ما يرتبط بعقله و فكره وبهما يميز عما دونه من الخلائق ، و بذلك تتهيأ له الوسائل الكافية لتنظيم الحياة و تثقيفها وإثرائها بما يفيد مما تتعين به ميزته عن الحيوان ، و الثالث ما يتعلق بجسمه فتنظم إليه جميع جوانب الصحة و النمو و الصيانة و ما إلى ذلك .

جانب القلب و الروح :

فى جانب القلب و الروح تختفى ميزة الانسان بالنسبة لغيره من المخلوقات الكثيرة ، و كذلك تدل تعاليم الاسلام على أن هذا الجانب هو من أسباب خلقه من بين سائر مكونات العالم ، فان الله سبحانه جعله خليفة فى هذا الأرض ويرى فيه أهلا للقيام بأعباء الخلافة ، و من البداهة على جانب أن هذه الخلافة لا يمكن القيام بها بالاعتماد على الجسم وحده و لا بمجرد العقل و إنما صلاحية القلب و الروح هى التى تؤهله بتحمل هذا الثقل على كتفيه نحو هذه المسؤلية العظيمة ، فاذا ما يتعلق الانسان بخالقه و ربه و يقدر على إدراك مرضياته و إشباع نفسه منها عندئذ يستطيع النيابة عنه فى أرضه ، كما تدل على ذلك المكالمة التى جرت بين الله عز وجل وملائكته المقربين قبل خلق أبينا آدم عليه السلام ، وقد ذكرها القرآن الكريم مفصلة فقال : « و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » إلى ما بعدها من الآيات ، و كذلك الآية من سورة الأحزاب التى جاء فيها ذكر عرض الأمانة و حملها صريحة فى هذا المعنى ، قال عز من قائل : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، إنه كان ظلوماً جهولا » غير أن الانسان

إن لم يحتفظ بجانبه ولم يستشعر المقتضيات الحقيقية للقلب و الروح ولم يودحقهما فيبقى هذا الجانب مغموراً مطموراً لا يلتفت إليه، و يسبب ذلك ظهور السيئات والمفاسد التى يسعى الانسان فى معالجتها أحيانا باستخدام الوسائل العقلية والامكانيات البشرية فيستعصى عليه الحل و العلاج ، و يقع فى المشاكل العويصة و يندس فى المستنقعات الطوامى بسوء اختياره للوسائل أو استخدامه للوسائل التى لا حل فيها.

جانب العقل :

لقد نال الجانب العقلى بصورة عامة فى المجتمع الانسانى متسعاً كبيراً، و لما كان العقل من أنجع الوسائل البشرية و أكثرها تأثيراً و نفوذاً فى تنظيم الحياة الانسانية و تجميلها و إخراجها فى صورة قشيبة رائعة ، و كان عاملا قويا فى اكتشاف الثروات المادية فى الدنيا ثم الاستمتاع بها و الانتفاع منها فى تحقيق الأغراض الكثيرة أولاه الانسان قسطاً كبيراً من الاهتمام ، ثم إن هذه الوسيلة العقلية لدى الانسان بوصفها إحدى الجوانب الفطرية فيه تشاركها و تتعاون معها، و عند استخدامها وحدها على سبيل الانفراد تحرم من تعاون الجوانب الأخرى و فوائدها .

و جميع أشواط التقدم و الرقى فى مجال العلم و الصناعة التى قطعها إنسان اليوم مدينة باستخدامه هذه الوسيلة الكامنة فى فطرته ، كما أن تاريخه الطويل الثقافية و مدنيته يشهد بمآثرها و تتلألأ فيه ملامحها الخالدة الآخذة .

جانب الجسم :

الجانب الثالث من الانسان ما يتعلق بجسمه ،وهو محل الجانبين الأولين ومجال لعملهما و باسهامه و مشاركته يعمل جانبا القلب و العقل و هو الجانب الوحيد الذى يشترك فيه الانسان و غيره من المخلوقات و يتساويان فى مجرد خصائصه ، فلو استغنى الانسان و اكتفى بهذا الجانب وحده يتعذر التميز بين حياته و حياة

المخلوقات الأخرى العملية و السلوكية ، فان مجرد الجسم لا يتفاوت بين كونه فى الانسان و بين كونه فى الحيوان و لا فرق بينهما فى احتياجهما إلى الحفاظ عليه و فى الصلاحيات المعاونة فى ذلك ، بل الحق أن الله جل و علا أودع الخلائق كلها على قدر حاجتها سواء الحيوان منها والانسان، الشعور بالاستفادة والاستمتاع، باختيار طرق البقاء و الدفاع و لم يخص الانسان بمنح هذه العطايا ، رغماً من أن الحيوان فاقد الشعور العقلى كليا إلا أنه يعرف جيداً كيفية إشباع الغرائز و ما يقضى به حاجاته الفطرية من دفع الجوع والعطش ، كل ذلك بطبيعته، فالطيور تبحث عن أقواتها فى الفواكه و الأثمار و حبوب الزروع و تلتقط منها قدر ما تحتاج ، و الدواب تجدها فيما تخرجه الأرض من نبات و كلأ ، والسباع فيما هو أضعف منها قوة و دفاعا ، ويطفئ كل منها حر العطش من مياه الأنهار و الترع و مثل ذلك الحوائج و المقتضيات الأخرى ، أما الانسان فيعمل فى هذه الأمور عقله و يقوم بها بحسن التنظيم و التنسيق و الدقة و البراعة ولو لم يستخدم عقله فى هذه الأعمال فلا يفوته أن يقوم بها مثلما تقوم بها جميع الحيوانات .

التأكيد فى الديانات على إصلاح القلب :

اجتمعت آراء الديانات كلها - باطلة كانت أو حقاً - مؤكدة على أنه يجب على الانسان أن يعنى بتربية القلب و الروح تربية حسنة و يجتهد لتوفير غذاء الجانب الأول فى الحياة الانسانية و هو القلب و الروح وقوتهما التربية و التأديب و التزكية، و تحليتهما بمكارم الأخلاق وتعويدهما على الطاعات واجتناب النواهى ، أما جانب الجسم فالأمر فيه هين لا يحتاج كثيراً إلى العناية و الجدية لما فيه من الصلاحيات الفطرية ، التى تمهد له الطريق عفوياً - غير أنه لا يهمل على الاطلاق - فان بعض الديانات ركزت جميع اهتماماتها و أكدت تأكيداً كاملا على تغذية القلب و الروح و إصلاحهما و تنميتهما حتى تعرض الجانب الجسمى

الاهمال و اللامبالاة و إلى الضرر الفادح ، و نتج عنه كرد فعل ثورة عنيفة ضد جانب القلب و الروح فى المدنية الحاضرة و ثار الانسان عليهما فأنكر ضرورتهما و أهميتهما ، و أساس المدنية المعاصرة الملحدة يقوم على هذه الثورة ، فأنتج ذلك أن حل جانب الجسم فيها محل القلب و الروح أيضاً .

وجهة نظر الاسلام :

و قد أنصف الاسلام عند ما ينظر إلى هذه الجوانب الثلاثة فى الانسان و يهتم بها جميعاً و يجعل أهمية جانب القلب والروح من الأساسيات ، لأن سبب خلقه مربوط بهذا الجانب من بين سائر الحيوانات ، فاذا أغمض النظر عنه فكأنه يبرهن ضد ضرورة وجوده فى العالم .

ومع التنبيه إلى هذا الجانب المهم لم يقتصر الاسلام على الاعتراف بضرورة العقل و الجسم و أهميتهما و لكنه حض على أداء حقوقهما ، قال ﷺ : « إن لنفسك عليك حقاً و لجسدك عليك حقاً » ، و فوق ذلك إنه قدم نظرة جامعة كلية و هى أن الانسان إذ أتى اقتضاءات الجوانب الأخرى وعن عاطفة الامتثال لأوامر الله والاجتناب عن نواهيه يثاب على ذلك كما يؤتى الأجر على أداء حقوق الجانب الأول القلب و الروح و لا فرق بينهما ، قال عليه الصلاة و السلام : « و إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فى امرأتك » متفق عليه ، و قال : « و فى بضع أحدكم صدقة الخ » .

نظرية المدنية الملحدة فى العصر الحاضر :

لكن المدنيات الملحدة المعاصرة لبعدها عن الاسلام و عدم تلقيها وجهة نظر الاسلام الصحيحة ثارت على جانب القلب و الروح تحت ضغطة من عاطفة الاستمتاع الكامنة فى باطن الانسان وكرد فعل لتعاليم الأديان الباطلة لافناء النفس

وكبتها ، فاضطرب إلى حصر الحياة الانسانية على جانبين فقط جانبى العقل والجسم فتحددت كل جهوده و مساعيه فى إطارهما و دارت حولهما .

ضعف جانب القلب و علاجه :

إن الفراغ الهائل والمشاكل المعضلة التى تنجم من غض النظر عن مقتضيات القلب و الروح يحاول إنسان الحضارة الجديدة علاجها أو تداركها بعقله ، و هذا العمل العقلى البسيط لملأ هذا الفراغ لابنائه على أسس خاطئة يبدو فى بعض الأحيان ناجحاً إلى حد ما و فى بعض الأحيان يسبب مصاعب كثيرة فوق ما كانت من قبل ، و لكن المفكرين و أذكياء التمدن المتحضر يرزحون دائماً فى المشاكل المتجددة و المتنوعة ، إما لجهلهم بالحل المصيب و العلاج الصحيح و إما لغض النظر عنهما متجاهلين عمداً .

الأساليب العملية لنظم التعليم المعاصرة :

فلما كانت نظم التعليم و التربية نتاج فكر العقلاء و العلماء قامت جميع نظم التعليم و التربية فى المدنية الحاضرة العلمانية على الجانبين المذكورين أعلاه ، فقد أهملت فيها مطاليب القلب والروح وحاجاتهما من طاعة الخالق ، ومكارم الأخلاق ، و العاطفة الانسانية النبيلة ، و الاحسان ، و الأخوة الانسانية و غيرها من المحاسن و الخصال الحميدة التى يتجمل بها الانسان ، و التى ألحت منها حاجتها استخدموا لعلاجها محض العقل أو لجأوا إلى استعمال القوة و البطش .

و لذلك فان المحاسن الخلقية التى نشاهدها فى المدنية الحاضرة لا يمكن أن يعتمد عليها لأنها لا تقوم على أساس متين و ذاك أن الدافع وراءها إنما هو الشعور بالحصول على المصالح المادية وتوقى الأضرار أو لما تفرضه الحكومات من عقوبات و غرامات .

« يتبع »

مجهودات المسلمين الاحتفاظ بشخصيتهم الاسلامية
فى الهنـــــد

الدكتور محمد يونس النجرامى
الأستاذ المشارك بالقسم العربى بجامعة لكناؤ (الهند)

[محاضرة ألقيت فى ١٠/ ٨/ ١٩٨٧م الموافق ٢١/ ١٢/ ١٤٠٧هـ بمناسبة الموسم الثقافى الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى بالمركز الاعلامى بحدائق الزاهر مكة المكرمة]

الهند بلد عريق فى القدم، تمتد جذوره إلى آلاف من السنين فى التاريخ ، و هى بلد الحضارات و الثقافات ، و الديانات و اللغات و اللجهات ، و الفلسفات المعقدة ، و بالتالى هى بلد العجائب و المتناقضات .

و كان لهـا دور بارز ، و إسهامات جليلة ، فى إثراء الحضارة العالمية ، و كانت ذات حضارة أصيلة عريقـة فى القدم ، ذات فلسفات عميقة ، و علوم رياضية دقيقة ، و قد نشأت فيها و ازدهرت الديانات الهنـدوسية ، و البوذية ، و الجينية ، و المسيحية ، و الاسلام ، و أخيراً ديانة السيخ .

و لكن قبل بزوغ فجر الاسلام عليها ، كانت تعيش هى منذ قرون ، فى عزلة تامة عن العالم ، و كانت منطوية على نفسها ، وعاشت قرونا طويلة فى عالمها المحصور و المحـدود ، لا تستورد شيئاً من الأفكار و العلوم من الخارج ، و لا تصدر إليه شيئاً ، و كان المجتمع الهندى مبنياً و قائماً عـلى نظام الطبقات والتميز العنصرى ، و كانت السيدات يحرقن أنفسهن بالنار إثر وفاة أزواجهن وفق

التقاليد الهندية ، و كانت الديانات المذكوره أعلاه قد اندثرت و فقدت فاعليتها و ابتلعتها الهند وجعلتها حديث الماضى ، و زينة المكتبات ، و الحضارة الهنـدية القديمة قد أصابها الهرم و الشيخوخة .

و كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، و كانت فى حاجة ملحة و ماسة إلى دم جديد ، و إلى ديانة قوية تغير مجرى الحياة الهندية ، وتقوم بادخال الاصلاحات الجذرية ، و تتغلغل فى أحشائها و تجرى مجرى الدم فى المجتمع الهندى الذى كان يئن تحت وطأة التقاليد العقيمة البالية .

و كتاب الهند لأبى الريحان البيرونى خير شاهد على ما كانت الهند عليه من تقاليد و عادات و ديانات وعلوم و فلسفات قبل الاسلام و هو أول كتاب وضع فى هذا الموضوع .

نعم – تقبل الاسلام هذه التحديات ، و أدى دوره فى كل ما هو فيه من العقائد و العبادات و المعاملات و الخيرات و الحسنات ، و العدالة الاجتماعية ، كما هو دأبه أينما حل ونزل .

دخل المسلمون فى أسبانيا غرباً ، و الهند شرقاً وجعلوها مصدر خيروبركة ، و حولوها إلى الفردوس الاسلامى على وجه الأرض .

وقد اعترف المؤرخون و الباحثون و المفكرون من الهندوس بنعمة الاسلام وفضله على الهند و منهم جواهرلال نهرو (١) ، و سرجادونات سركار (٢) ، ك . ايم . بانيكر (٣) ، و ن . س . مهتا .

(1) Diseovery of India Jawahar Lal Nehru.
(2) A. Swrvey of Indian History.
(3) Indian Civilization and Islam.

تورت الهند بنور الاسلام فى القرن الأول من الهجرة ، و تشرفت بأقدام المجاهدين الأولين من العرب الذين أقاموا دولتهم فى القرن الخامس الهجرى ، ولذا مرت بالهند أربعة عهود إسلامية . ١– عهد الفتح العربى . ٢– عهد الفتح الافغانى . ٣– عهد المماليك . ٤– و عهد المغول ، و بعهد انقضاء العهد المغولى ظل الاستعمار الانجليزى على الهند أكثر من مأة عام و نالت الهند استقلالها فى سنة ١٩٤٧م بعد الجهود المضنية و التضحيات الكبيرة .

ظل المسلمون فى الهند على مر العصور ، متمسكين بالدين الاسلامى الحنيف نصاً و روحاً و عقيدة و منهجاً ، و رفضوا من أول يوم دخولهم فى الهند إلى اليوم الاندماج و الذوبان فى الوثنية الهندية ، وفى سبيل ذلك تحملوا ما تحملوا من ويلات وشدائد و ذاقوا ما ذاقوا من العذاب و الحرمان ، و الهوان و قدموا ما قدموا من التضحيات و الفداء إيماناً بالآية الكريمة .

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، و ما بدلوا تبديلا (١) .

و ظلت الشريعة الاسلامية و السنة النبوية ، و التوحيد الخالص غاية حياتهم و نصب أعينهم و مطمح أبصارهم ، و لها أسباب و عوامل ، و منها .

استمرار الحركة الاصلاحية و ظهور الشخصيات القوية المخلصة :

من حسن حظ المسلمين فى الهند أنه ظهر فيها بصفة مستمرة و دائمة الرجال الأوفياء والدعاة المخلصون للدين الاسلامى الذى جاهدوا وكافحوا وناضلوا، لتكون كلمة الله هى العليا و قاموا بصيانة الدين من تحريف و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين ، و إلحاد المتصوفين ، و من الفلسفات الوثنية المعقدة الهدامة ،

(١) من سورة الاحزاب .

و كانوا هم أصحاب قلوب رقيقة ، و عاطفة قوية ، و شعور رقيق ، و استخدموا جميع هذه الصفات النبيلة لخدمة الاسلام و المسلمين فى الهند ، و سخروها للدعوة الاسلامية ، و عن طريق ذلك قاموا بانجاز الأعمال الجليلة عن طريق الحب و الحنان حيث يفشل المنطق و البرهان ، و بالتالى أسلم ألوف من الوثنيين على أيديهم و غرسوا فى نفوس المسلمين تعاليم الاسلام و مبادىء و التوحيد الخالص الذى لا يرى الوساطة بين العبد و ربه ، فى العبادة و الدعاء ، و لا يعترف بالآلهة و المظاهر و الظلال و حلول الله فى بعض البشر و ظهوره فيهم .

و يؤمن بالاله الواحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد .

و هؤلاء الرجال الدعاة عن طريق تعاملهم و سلوكهم قاموا بتحقيق العدالة الاجتماعية الاسلامية التى لم يكن لها عهد بالهند ، و بالتالى فتحوا آفاقا جديدة للدعوة الاسلامية و المد الاسلامى فى الهند ، وجعلوا أهداف دعوتهم إصلاح ، الفرد و المجتمعات دون الحكومة ، و لذلك حققت الدعوة الاسلامية فى الهند نجاحاً باهراً ـ كانت هناك الشخصيات والرجال الذين لم يكن لهم نصيب و إلمام بالقرآن و السنة ، و كانوا متأثرين بالثقافة المحلية الوثنية ، و بالفلسفات الهندية المعقدة ، لأن الذين دخلوا الهند لم يكونوا يعرفون من مزايا الاسلام إلا قليلا ، وما كانت قلوبهم مصطبغة بصبغة الله، مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة و التابعين ، و لذلك نرى غلبة العقائد الوثنية و أوهام المتصوفة على عقيدة التوحيد كما أشار إليه الباحث الفرنسى الشهير غوستاف لوبون « يظهر عند دراسة الاسلام فى الهند أن هذا الدين قد مسخ مسخاً وشوه تشويها (١) .

(١) حضارة الهند ص ٣١٠ .

و لكن أصحاب الشخصيات الاسلامية الصحيحة كانوا دائماً يمتلكون ناصية الأمور لأنهم كانوا حاملى لواء القرآن والسنة، وكانت التعاليم الاسلامية متمثلة فى حياتهم الذاتية ، و بالتالى كانوا يحكمون القلوب و الأرواح ، بدل الحكم و السلطة على البلاد و الأبدان .

و أقاموا الحلقات الذهبية فى حقل الدعوة الاسلامية فى الهند و لم تنقطع و لم تفتقد أية حقلة منها حتى الآن .

و أول من قام بالدعوة الاسلامية فى الهند ، هو الشيخ معين الدين الأجميرى الذى اتخذ مدينة أجمير مركزا له و للدعوة الاسلامية فى عهد شهاب الدين محمد الغورى فى فترة غاراته التى استمرت من ٥٧٩هـ إلى ٦٠٢هـ ، يقول عنه أبو الفضل فى آئين أكبرى :

« إنه أقام و استقر فى مدينة أجمير و انقطع إلى الدعوة الاسلامية و قد أسلم على يديه ألوف من الهندوس » (١) .

و قد شوهد فى بعض الليالى المظلمة أن السلطان شمس الدين التمش الذى دانت له البلاد كلها وخضع له ملوك الهند يدخل على الشيخ بختيار الكعكى و يغمز رجليه و يكبس بدنه و يذرف الدموع على قدميه و يسليه الشيخ ويأمره بالمعروف و ينهاه عن المنكر .

مرض الشيخ شهاب الدين الدولت آبادى و اشتد به الوجع فزاره السلطان إبراهيم الشرقى « م ٨٤٠هـ » و يدعو الله أن يكون هو فداء له فيموت هو و يعيش الشيخ ، لأنه جمال ملكه و بركة زمانه .

و الملك محمد تغلق له إسهامات جليلة لاحياء الشعائر الاسلامية و القضاء على البدع و المنكرات .

(١) آئين أكبرى للشيخ أبو الفضل .

و الرحالة العربى ابن بطوطة ذكر مآثره الاسلامية فى كتابه و ذكر مجهوداته لاقامة الصلاة و أحكام الشرع و يقول : إنه يعاقب الناس على ترك الصلاة .

و الملك فيروز تغلق أدخل بعض التعديلات الجذرية فى سبيل إقامة الدين و رفع كلمته ، و فى عهده بدأ أهل الفرق الباطلة بنشر عقائدهم و ألفوا الكتب و الرسائل و تطاولوا على الخلفاء الراشدين و قاموا بالطعن على العلماء ، فأخذ هو بأعمالهم المنكرة و عاقبهم أشد المعاقبة و أمر باحراق كتبهم حتى انعدمت هذه الطائفة عن بكرة أبيها (١) .

فى عهد الملك المغولى جلال الدين محمد أكبر ابتلى المسلمون ابتلاءاً شديداً فى دينهم و عقيدتهم و ممارسة شعائرهم الدينية لأنه دعا إلى اعتناق دين جديد وعقيدة جديدة ولها أسباب و دوافع ، و منها مجالسة علماء السوء ، و تحاسدهم و تباغضهم فيما بينهم وحبهم للجاه والمال وعلاقتهم بعلماء الطوائف الاسلامية التى انحرفت عن الاسلام وعلماء البراهمة و البوذيين والمجوس والمسيحيين ، وإقامة العلاقات الزوجية من الاميرات الوثنيات ، و كونه أمياً محضاً مع الطموحات غير المادية (٢) .

و تحقيقاً لأهدافه سمح للمسلمين الجدد بأن يرتدوا عن الاسلام و يرجعوا إلى أديانهم الأولى و أصدر مرسوماً ملكياً بمنع ذبح البقر لتعظيم الوثنيين إياها و العبادة لها و بدأ المشاركة فى الاحتفالات الهندوسية ومنع المسلمين بأن يتزوجوا من بنات العم و العمة و الخال والخالة كما هو الحال فى الهندوس و كذلك منع الختان و أحل الربا و الخمر .

(١) تاريخ فيروز شاهى للشيخ شمس الدين سراج عفيف .

(٢) منتخب التواريخ للملا عبدالقادر البدايونى (والسياسة الدينية للامبراطورية المغولية) و شرى رام شرما .

و سمح للبغايا والعواهر أن يتعاطين أشغالهن وأفتى بجواز نكاح المتعة و أمر بالغاء تعليم اللغة العربية و أمر بالسجدة التكريمية وقام بالغاء بعض أركان الاسلام و فرض الحظر على الناس أن يصوموا فى رمضان و أن يحجوا و ألغى أعياد المسلمين .

و كان يعبد الشمس أربع مرات كل يوم و كذلك كان يعبد النار والحجر و الشجر و كان يحمل الحقد للشريعة الاسلامية و صاحبها ، و أصبح الاسلام غريباً فى بلاد استمرت فيها الحكومة الاسلاميه خمسة قرون و كاد يلفظ نفسه الأخير و يواجه الفناء ، لأن المسألة كانت مسألة انحراف دولة من أعظم الدول على الأرض و على رأسها رجل من أكبر ملوك العصر و حوله رجال من أعلم رجال الوقت و من أذكاهم و لكن لله حكمة بالغة يعلمها هو وحده فوفق الله عبداً للقيام بالدعوة إليه و حماية الدين من الوثنية الهندية و التصوف الباطل وهو الشيخ أحمد السرهندى « ٩٧١-١٠٣٤ » .

إنه اتخذ أسلوباً حكيماً رائعاً فريداً لمعالجة الأمور المعقدة و الدعوة إلى الأخذ بالكتاب و السنة ، إنه أدرك بأن الملك قد أفسده رجاله المحيطون به ، و انحرف عن الدين ، و لكن ليس هو الدولة كلها و ليس هو الشعب كله ، و هو خاضع للسنن الالهية فيموت ، فلا بد من أداء الرسالة والاتصال بالأمراء و الحكام و المسئولين عن القوات المغولية فقام بتوثيق الصلات معهم و وجه إليهم الخطابات و الرسائل التى كانت مشحونة ببطارية الايمان وفيها دعوة صارخة إلى العودة بالكتاب و السنة والدين الحنيف ، و الرسائل فى الحقيقة شعلة ايمانية وقادة تلتهب فيها جمرة الايمان و يطلب فيها منهم المساعدة لدين الله و أهله و يتمنى أن يسود الاسلام مرة أخرى.

يقول فى إحدى الرسائل « إن أتباع محمد غرباء ومهانون فى بلادهم واعداؤه مكرمون ، إن الباطل بارز و منصور ، و الحق مخذول و مستور » و يقول فى رسالة أخرى .

« أنت مسلم و الحياة فانية و الملك لا يعيش دائماً ، و الحكم لا يدوم ، اتق الله فى أمتك ، و فى بلادك » .

و جاء فى موضع آخر :

« إذا عمل مسلم بحكم شرعى يسجن و يعاقب و يهان ، ويعذب ، والديانات الأخرى حرة متمتعة بكل حق و المسلمون أصبحوا هدفاً لكل تجريح و إهانة » .

و جاء فى موضع آخر :

« إن الاستغاثة بالطواغيت و الأصنام فى الأمراض وللحصول على الشفاء التى راجت فى المسلمين هو الشرك و الضلال ، و طلب الحاجات من الأحجار جحود واضح بالله ، و إن كثيراً من النساء يطلبن قضاء الحاجات من غير الله ، إنهن - فى الحقيقة - لأسيرات فى أغلال الشرك و طقوسه و تقاليده .

و أتت جهود الشيخ بثمارها ، والتف حوله عدد كبير من الأمراء والوزراء و أعيان المملكة ، و بدأ الاسلام يعود مرة أخرى ويتخذ مكانه ، و ظل الشيخ مثابراً على دعوته حتى تغير اتجاه الدولة فى عهد جهان كير ، و تغيرت سيرة الملك و نفسيته و أصبحت الدولة تقترب إلى الدين الاسلامى .

و من جهة أخرى قام الشيخ السرهندى بتنديد علماء السوء و كشف عن عوراتهم ، و قام بالرد على الصوفية و معتقداتهم الباطلة من المكاشفة و وحدة الوجود ، و دعوتهم إلى البدعة الحسنة .

و أما ما قام السلطان أورنك زيب (١) فى عهده بتنفيذ الأحكام الشرعية و الرجوع إلى الكتاب و السنة ، و ربط مصير الهند بالعلوم و الدين ، و أزال خطر زوال المسلمين و جلائهم من الهنـــد كما حدث فى أسبانيا قبل القرنين فهو مما لا شك تمديد لمجهودات الشيخ السرهندى و التى أثمرت بكاملها فى عهده ، و الفضل يرجع إلى ابنه الشيخ محمد معصوم السرهندى « ١٠٠٧-١٠٧٩ه » الذى تولى تربية أورنك زيب تربية إسلامية صحيحة .

ومن الشخصيات الاسلامية البارزة فى حقل الدعوة الاسلامية فى الهند هو الشيخ ولى الله الدهلوى م١١٧٦ ه الذى قام بابراز عقيدة التوحيد فى كامل نقائها و صفائها و دعا الناس إلى الاتصال المباشر بالكتاب و السنة ، وقام هو و أبناؤه بالقاء الدروس من الصحاح الستة ، و المؤطأ ، و هكذا عم و انتشر علم الحديث فى كافة أنحاء الهند ، وبفكره الثاقب أدرك هو بالثورة الفكرية القادمة فقام بايضاح الفكرة الاسلامية و أسرار الدين و حكمه و أصول التشريع الاسلامى فى كتابه حجة الله البالغة ولعل الفضل يرجع فى ذلك إلى كتب شيخ الاسلام ابن تيمية التى عثر عليها و لذلك اتسمت كتاباته بالابتكار والمناعة و إبراز الحقائق فى الأسلوب الرصين الممتاز كما ذكره والدنا المغفور له الشيخ محمد أويس الندوى صاحب التفسير القيم للامام القيم فى بعض مقالاته (٢) .

و لا يمكن الاغفال عن الحركة الاصلاحية و الدعوة التى قام بها الامامان الشهيدان أحمد بن عرفان الشهيد « م١٢٤٦ه » ، و الشيخ محمد اسماعيل حفيد الشاه ولى الله الدهلوى ، وكلاهما دعوا الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة ، وحارب

(١) ظهير الدين الفاروقى Aurangzeb and his Life .

(٢) مجلة الفرقان عدد ممتاز عن الشاه ولى الله الدهلوى .

الشرك و الجاهلية محاربة سافرة و قاما بجولات واسعة مكثفة فى سائر أنحاء الهند و تاب فى خلالها ألوف من المسلمين .

و الدعوة التى قاما بها لم تكن إلا لاحياء الشريعة الاسلامية واقامة الدين ، و اهابت بالأمـــة إلى الاستقاء من معين الكتاب و السنة و اللجوء إلى الشريعة الاسلامية فى جميع شئون الحياة و تأسيس الحكومة الشرعية على منهاج الخلافة الراشدة ، والذى مهد السبيل لهذه الدعوة المباركة مؤلفات الامام ولى الله الدهلوى و آراؤه الحقيقية و أفكاره الناضجة الحكيمة التى أحدثت الثورة الفكرية فى قلوب الناس .

والجدير بالذكر هنا أن الشيخ محمد اسماعيل الدهلوى « ١١٩٣-١٢٤٦ه » وضع كتابا بالأردية باسم « تقوية الايمان » هو أول كتاب من نوعه فى الهند جميع فيه المؤلف الآيات والآحاديث فى إثبات التوحيد واتباع السنة و نبذ الشرك والبدع و مظاهر الوثنية ، و كان لهذا الكتاب تأثير كبير فى إصلاح الحياة الاجتماعيـــة و الدينية و نشر السنة الصحيحة فى الهند و القضاء على عادات الشرك و الوثنية و البدع و الخرافات فى سائر أنحاء الهنـــد و قد اهتدى بهذا الكتاب ألوف من المسلمين فى الهنـــد إلى الصراط المستقيم و العقيدة السليمـــة و نبذوا الشرك و البدع » (١) .

(١) تقوية الايمان ص ١٠ إدارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية بنارس .

نظام الارث فى الاسلام

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
أستاذ الحديث و التفسير بندوة العلماء لكهنؤ
تعريب : محمد نعمان الدين الندوى السنبهلى

إن نظام الاسلام الشامل المتكامل لا يسن القوانين العادلة و الحكيمة لحياة الانسان الفانية المحدودة فقط بل شرعت فيه أحكام و ضوابط لما بعد هذه الحياة (و قد اتجهت مسئولية تنفيذهـا - طبعا - على الأحياء) يتمثل ذلك بقوة فى نظام التركة والميراث الدقيق الجامع الذى يبتنى - كجميع القوانين الاسلامية - على غاية من العدل و الاتزان ، و لا يمكن تقدير مدى اتزان هـذا النظام ، قوانين الارث ، وعدله ، إلا إذا قورن بقوانين التركة للأديان والبلدان الأخرى ، وكذلك بنظام الارث الذى كان يطبق فى العصر الجاهلى .

العصر الجاهلى :

لقد كان السبب الأول لاستحقاق التركة ، « القوة » و « الرجولة » ، فما كانت النساء ، و الضعفاء (الأطفال) ولو كانوا ذكوراً ، من مستحق التركة ، كما نقل ذلك العلماء الثقات ، منهم المفسر الشهير أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ٦٧١هـ)

« و كانت الوراثة فى الجاهلية بالرجولة و القوة » (١) .

(١) تفسير القرطبى (الجامع لاحكام القرآن) ٥/ ٧٩ - دار الكتاب العربى سنة ١٣٨٧هـ ، وفى أحكام القرآن ٢/ ٧٥ للجصاص (ت ٣٧٠هـ) : « فأما ما يستحق بالنسب فلم يكونوا يورثون الصغار ولا الاناث و إنما يورثون من قاتل على الفرس وحاز الغنيمة (طبع دار الكتاب العربى ، بيروت) .

و تدل على هذا المبدأ الجاهلى - فى نظام التركة - عامة الآثار التى ذكرت فى بيان شأن النزول لآيات الميراث ، ففى تفسير القرآن الشهير للامام أبى جعفر الطبرى (ت سنة ٣١٠هـ) أن امرأة شكت إلى رسول الله ﷺ :

« يا رسول الله ! توفى زوجى و تركنى و ابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرساً و لا تحمل كلا و لا تنكأ عدواً » (١) .

مع أن الظاهر يقتضى أن تكون النساء و الضعفاء أكثر استحقاقاً للتركة ، لأن الضعفاء لضعفهم والنساء لرقتهم الفطرية ، لا يكونون أهلا لحمل أعباء المكاسب فيحرمون - فى بعض الأحيان ، حتى - مما تبقى به الحياة بعد وفاة مورثهم الذى يكون ولياً و مسئولا - فى عامة الأحوال - عن نفقة الورثة الضعفاء ، فلا يبقى أمامهم (بعد حرمانهم من الارث) إلا التعرض لخطر الموت جوعاً و عطشاً ، و لقد أصاب ابن العربى (ت ٥٤٣هـ) حيث قال :

« إن الورثة الصغار الضعاف كانوا أحق بالمال من القوى فعكسوا الحكم و أبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم و أخطأوا فى آرائهم » (٢) .

الديانة اليهودية :

كان من الواجب أن تكون أحكام التركة عند اليهود مبنية على القوانين الربانية التى كانت نزلت على سيدنا موسى (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) ولكن وضعها الموجود - بعد أن حرفت - ينص على أن استحقاق الارث لا يكون إلا للرجل ، وتحرم النساء عموماً ، كما قال الدكتور محمد يوسف المصرى فى كتابه

(١) تفسير الطبرى ج ٤ ص ٢٦٢ (طبع مصطفى البابى الحلبى و أولاده ، مصر) .
(٢) « أحكام القرآن » لابن العربى ج ١ ص ١٢٦ - الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، مصر .

القيم « التركة و الميراث فى الاسلام » و هو يتكلم فى أصول الوارثة اليهودية .

« و عماد الأسرة عندهم هو الرجل بصفة عامة و لهذا لاحظ فى شريعتهم للمرأة من الميراث سواء كانت أما أو زوجة أو بنتاً أو أختاً للمتوفى » (١) .

ثم إنه من الظلم أن الرجل يرث تركة زوجتـــه و لكن المرأة تحرم من تركة زوجها ، و كذلك يستحق الولد الأكبر نصيباً مضاعفاً من تركة والده دون الأولاد الصغار مع أن التقدم و التأخر فى الولادة شئ طبيعى و غير إرادى ، و لكن ذلك الأمر عندهم يميز الكبار عن الصغار ، ولو كان فى التقدم و التأخر فى الولادة مساغ لتمييز أو تفضيل لكان فى العكس ، أى كان ينبغى أن يستحق الولد الصغير - لكونه أليق بالشفقة و أجدر بالرأفة - نصيباً أكبر .

القـانون الرومى :

إن القانون الرومى الذى تثار الضجة بعدله فى سائر البلدان الغربية (ومن أجل ذلك كان قانوناً رسمياً لمعظم دول الغرب إلى مدة طويلة) و لا تزال بعض أجزائه مطبقة حتى اليوم ، و الذى هتفوا بكونه « معلم القانون » فى جميع العالم هنافا وصل دويه إلى الشرق البعيد مما جعل بعض العقلاء النبلاء يعتقدون ذلك حقيقة ، فى هـــذا القانون « العادل » حرمت البنات المتزوجات من تركة والدهم ، ولا يتهى حرمان النساء على ذلك بل من « عدل » هذا القانون « العادل » مع النساء أنه يعطى الرجل (رب الأسرة) حق بيع أفراد أسرته بما فيهم النساء ، بل له أن يحكم بمدتهم و حياتهم و يحرمهم من التركة (و يعنى ذلك أن منزلة

(١) التركة و الميراث فى الاسلام (ص ٤٠ ، مطبعة المعرفة) للدكتور محمد يوسف المصرى .

بقية أفراد الأسرة كالعبيد بل كالبهائم) فتحرم الزوجة من تركة زوجها (١) .

و من مزيد الظلم أن الولد يرث سواء كان من المرأة المنكوحة أو من الزنا ، فى كلتا الحالتين (٢) .

قانون الارث فى الهنـــد :

فى قانون الارث الهندى الأصلى لا تحرم النساء من التركة فحسب بل يحرم كذلك جميع الأولاد سوى الولد الأكبر ، كما فى « منوسمرتى » (كتاب القانون المحترم لدى الهنادك) : « ليأخذ مال الأب (بعد موته) ولده الأكبر فقط » (٣).

نظام الارث فى الاسلام :

بعد أن ألقينا نظرة عابرة على القوانين و الأنظمة غير الاسلامية ، يجب أن ننظر إلى نظام الوارثة الذى منحه - إيانا - الخالق الحقيق الحكيم . و بعـد دراسته العميقة يسهل لنا أن نحكم بمـا إذا كان العدل و الاتزان الحقيقيان فيه أم فى غيره من الأنظمة و القوانين .

إن أسـاس نظام الوراثة الاسلامى على النسب و السبب (١) كما قال

(١) التركة و الميراث ص ٤٥ - ٥٢ (للدكتور محمد يوسف) .

(٢) أيضاً ص ٥٤ .

(٣) منوسمرتى ، الترجمة الأردية ص ١٨١ طبعة ستارجند جهترى . تاجر كتب لاهور (لاهورى دروازه) .

(١) المراد « بالنسب » الرحم (القرابة) فكلما كان الوارث أقرب إلى المورث كان أحق فى التركة بحسب قربه من المورث ، والمراد « بالسبب » العلاقة الناتجة من الزواج و غيره فيرث الرجل زوجه و كذلك المرأة ترث ★

الامام الغزالى (ت ٥٠٥هـ)، فما حرمت - فى هذا النظام - الأم، والبنت، والزوجة من مال التركة فى أى حال من الأحوال، و فى صور كثيرة تستحق الحفيدة، و الجدة، كذلك و الجدة من الأم، و الأخت (مع أقسامها الثلاثة . . . .) و تستحق فى بعض الصور العمة، و بنت البنت . ثم إن زيادة العمر و قصره لا يؤثر فى قدر التركة، فالقدر الذى يستحقه الولد الكبير يستحقه - أيضاً - الولد الصغير، لأنهما إذا كانا متساويين فى السبب فعدم التساوى فى القدر يعتبر ظلماً وجوراً لامحالة بل فى ظاهر الأمر - كما أسلفنا - الولد الصغير أحق بالشفقة وأجدر بالرأفة، فلو كان التفاوت معتبراً لكان حظ الولد الصغير فى التركة أكبر من الكبير.

انتقاد خاطئ :

مما يطعن به بعض السفهاء - أو المعاندين - على قانون الوراثة الاسلامى أن النساء يأخذن نصف ما يأخذه الرجل من التركة فى عامة الأحوال و هذا يعارض المساواة بين الرجل و المرأة، ولقد بحث هذا العاجز فى كتابه الأردى « معاشرتى مسائل » (١) عن مساواة الرجل والمرأة، وعن هذه المسألة خاصة بحثاً مستفيضاً، فليراجعه طالبو التفصيل، و نقتطف هنا بعض قطعه بتعديل يسير .

« إن السبب الأصلى لهذا النقد عدم إحاطة المعترضين و الناقدين بجميع نواحى قوانين الشريعة الاسلامية و إلا فقد كانوا علموا بأن القدر الذى تجده المرأة من التركة لا تكاد تحتاج إلى الانتفاع به طول العمر، اللهم إلا فى حالة

★ زوجها، ويتضمن « السبب » أموراً أخرى لا نذكرها اختصاراً، فراجعوا للتفصيل - مثلا - « الوجيز » (ص ٢٦٠ ج ١) للامام الغزالى، مطبعة الآداب والمؤيد ١٣١٧هـ و الكتب أخرى للفرائض .

(١) نشره المجلس العلمى الاسلامى، ندوة العلماء - لكناؤ .

نادرة وضرورة طارئة، فيبقى غير مبذول فى أكثر الأحيان ويكون سبباً فى تنمية « رأس المال » أو « المال الاحتياطى » فلعل هذا الاعتقاد لايجانب الصواب بأن الشريعة الاسلامية فى الحقيقة - بفرضها حظا للمرأة من التركة - طيبت قلبها، و زادت منزلتها و رفعت مكانتها فى المجتمع، و إلا فلا تواجه المرأة - مرحلة من مراحل حياتها، إذا كان يطبق تطبيقاً كاملا بالقوانين الشرعية - تتحمل فيها - شرعاً - نفقة أحد - بل نفقة نفسها - بصرف النظر عن حالات استثنائية، طارئة أو اضطرارية، ثم إنها إذا كانت تنكح تستحق المهر من زوجها، و على العكس من ذلك فان الرجل البائس لا يكاد يبلغ و يقدر على كسب المعاش حتى تقع على عاتقه (ليست مسئولية القيام بسد حاجات نفسه فحسب بل) مسئولية الآخرين مثل الزوجة و الوالدين وبعض الأقارب الأخرى فى بعض الأحيان و كذلك بعد الزواج لا تقع عليه مسئولية القيام بنفقة زوجته و كسوتها و سكنها فحسب بل يلزم عليه المهر الذى يكون مبلغاً كبيراً فى معظم الأحوال .

بعد إلقاء النظرة على جميع هذه الجوانب للقوانين الشرعية لا يسع أحداً أن يوجه اعتراضاً إلى الشريعة على كون حظ المرأة نصف حظ الرجل من التركة، و هناك بعض اعتراضات أخرى - كلها أو أكثرها لا يحمل طائلا، وقد ردها كثيرون، فأحسنوا الرد و - أيضاً - قد رد عليه صاحب هذه السطور فى الكتاب المذكور .

مكانة قانون الميراث :

ومما يجدر - بل يجب - بالذكر والتنبيه للمقام إلى أن التحقيق على قوانين الميراث والأمر بتقسيم التركة على الورثة بموجب ذلك النظام الاسلامى ليس أمراً طوعياً وإنما هو أمر متحتم لازم يجب العمل به مثل قوانين الشريعة الاسلامية الأخرى، ومخالفته

تؤدى - مع عقاب شديد فى الآخرة - إلى ضرر شديد وعواقب وخيمة فى الدنيا ، إن إعطاء الجهاز العظيم للبنات وعادة « تلك » (١) بين المسلمين (تقليداً للهنادك) التى عادت مصيبة بل عذاباً ، لا يستبعد أن يكون ذلك نتيجة لعدم تقسيم التركة تقسيماً مطابقاً للشريعة (أى لحرمان البنات و الأخوات من التركة) ثم إن هذا الظلم يؤدى إلى حرمان من الخير والبركة و إلى خصام وشجار فى كثير من الأحيان ، إن حرمان مستحق للتركة (فى حكم الشريعة الاسلامية) مثل غصب أو اختلاس ، قال الله تعالى فى القرآن الكريم بصدد بيان أحكام الميراث « فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً » (النساء الآية ١١) .

إهدار قانون الميراث : جريمة جسيمة :

ولكن ما ادعى للعجب بل للقلق أن كثيراً ممن يدعون باعتقاد هذه القوانين شريعة الله يخالفونها - بل لا يبالون بها - حتى تمضى أجيال بعد أجيال و هى ترتكب هذه الجريمة ، و لكنهم لا يخافون الله و لا يخشون يوم الحساب رأساً ، و أعجب من ذلك أن بعضاً ممن يظن فيهم اتباع الشريعة يخالفون هذا القانون - قانون التركة - مخالفة ، و لعل كثيراً منهم لا يشعرون بأن حرمان المستحقين - مثل الأخوات و البنات - من التركة ظلم ، و قد أكد الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم بعد ما بين أحكام التركة : « تلك حدود الله . . . و من يعص الله ورسوله و يتعد حدوده ، يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين » (النساء الآية ١٣ - ١٤) من رزق الايمان بهذه الآيات إيماناً حقيقياً يرتعد لا محالة بتصور المخالفة و العصيان ، و لا يتجرأ على بخس حق من يستحق الميراث .

خطر حبط الأعمال بعصيان قانون الميراث :

لقد نقل الحافظ ابن كثير (م ٧٧٤) الذى كان محدثاً جليلا إلى كونه مفسراً كبيراً - فى تفسيره - للاحاديث النبوية الشريفة و هو يفسر هذه الآيات ، منها الحديث الذى ذكره نقلا عن الامام الترمذى و غيره .

(١) المبلغ الوجيه الذى يدفعه أولياء البنات إلى الزوج و أوليائه عند الزواج .

« إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران فى الوصية فتجب لهما النار » (١) (رواه الترمذى و ابن ماجة) .

إنه موضع الاعتبار والمهابة بأن المشتغل بعبادة الله ستين سنة (و فى رواية سبعين سنة) يهدد بهذا الوعيد الشديد لو عصى قانون الميراث و الوصية .

ثم إذا كانت الحياة كلها - أو جلها - مضت فى نقض بعض قوانين الشريعة - كقانون الميراث - ومعارضتها كما هو حال المسلمين اليوم ، فكم يترتب من العقاب الشديد على هذا العصيان المستمر يا ترى؟ إن تقدير ذلك ليس بصعب.

مسئولية العلماء و المصلحين :

إن مخالفة قوانين الوراثة فى مجتمعاتنا - منذ مدة مديدة - مخالفة عظيمة تحمل على المصلحين و العلماء خاصة مسئولية كبيرة ، و هى أن يبذلوا لمكافحة ذلك جهدهم المستطاع وإلا يخشى أن يتعرض هؤلاء الساكتون للعذاب إذا نزل بهم للنقض العام للقانون الالهى ، فان الله تعالى يقول : « و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (سورة الأنفال الآية ٢) .

أهمية قانون التركة :

يكفى تقديراً لأهمية قانون التركة هذا الأمر - فقط - بأن القرآن الكريم الذى اكتفى فيه بالأحكام المجملة و الأصول و القواعد ، دون التعرض للاحكام التفصيلية ، ذكرت فيه أحكام الميراث مفصلة واضحة ، أى بينت فيه حصص أكثر الورثة ، ولم يقتصر على ذلك بل جاء بالوعد و الوعيد أكثر من مرة ، وكذلك نبه إلى كون حصص الورثة المفروضة فى كتاب الله تعالى عادلة حكيمة بقوله : « آباؤكم و أبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ، فريضة من الله إن الله كان

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦١ ، طبع دار إحياء الكتب العربية.

عليماً حكيماً » (١) علاوة على ذلك سمى « علم الفرائض » فى ـ حديث الرسول ﷺ ـ الذى تعلم منه أحكام الميراث التفصيلية بـ « نصف العلم » و أكد على تعلمه و تعليمه .

« تعلموا الفرائض و علموا الناس فانه نصف العلم » (٢) و قد ذكر ابن كثير سبباً لتسميته بنصف العلم : « لأنه يبتلى به الناس كلهم » (٣) و قد كان من أهمية هذا العلم أن عنى به علماء الكبار فى كل عصر و كتبوا الكتب فى هذا الموضوع (و لا يعلم عدد هذا الكتب الحقيقى إلا الله سبحانه و تعالى) .

و إن بداية تأليف الكتب فى هذا الفن تعود إلى القرن الثانى الهجرى ، فألف أبو بكر أيوب السختيانى البصرى التابعى (م ١٣١) كتاباً سماه « فرائض أيوب البصرى » كما صرح بذلك صاحب « كشف الظنون » (٤) ، و كما ألف الامام أبو حنيفة و معاصراه ابن أبى ليلى و ابن شبرمة كتباً فى علم الفرائض ، ثم الكتاب الأبسط الذى ظهر بعد ذلك هو لابن محمد بن النصر المروزى ، و قد أبدى فيه ابن السبكى رأيه قائلا :

(١) النساء الآية ١١ ، محصل الآية أن الله سبحانه و تعالى لحكمته البالغة و علمه الغزير ، قد يعطى الآباء ـ فى بعض الحالات ـ حظاً أكثر فى التركة من الآخرين ، و قد يعطى ذلك (حظاً أكثر) الأبناء و غيرهم من الورثة ، فيمكن أن تروا ذلك خلافاً للمصلحة (لقصور نظركم و قلة علمكم) فأزيلوا شبهتكم هذه و فهمكم الخاطئ هذا باستحضار علم الله و حكمته » .

(٢) كشف الخفاء ومزيل الألباس ج ١ ص ٣٠٨ نقلا عن ابن ماجة والدارقطنى ، و الحاكم ، و النسائى ، و الدارمى ، (و إن تكلم فى سنده بعض أصحاب الفن شيئاً) .

(٣) ابن كثير ج ١ ص ٤٥٧ .

(٤) أى الكاتب الجلبى المعروف بحاجى خليفة مصطفى بن عبد القسطينى م ١٠٦٧هـ .

« هو كتاب جليل القدر لا مزيد على حسنه » (١) ، وفى هذا الموضوع ألفت كتب كثيرة لا تعد ولا يحصيها إلا علام الغيوب ، منها : « فرائض ابن عبد البر » لابن يوسف بن عبد الله القرطبى (م ٤٦٣) ، و « فرائض ابن الرشيد » لمبشر بن أحمد بن على بن حمد الحاسب الشافعى (م ٥٨٩) ، و « فرائض الزاهدى » لأبى الرجاء مختار بن محمود الحنفى (م ٦٥٨) ، فهذه كتب شهيرة ، و لكن القبول و الصيت الذى حظى بهما كتاب سراج الدين محمد بن محمود بن عبد الرشيد السجاوندى المعروف بـ « الفرائض السراجية » لم يحظ بهما أى كتاب آخر ، و من العلامات الدالة على شهرته و قبوليته أن كتبت له شروح وحواش بكثرة لا يوجد لها نظير ، و قال الكاتب الجلبى : « اشتغل بشرحها جم غفير من العلماء » ثم ذكر عشرين شرحاً مستقلا له ، ثم ذكر الحواشى التى عددها أكثر من ذلك (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) و لا تزال تؤلف كتب بين كبير وصغير فى هذا الفن (اللهم زد فزد) وفقنا الله للعمل بذلك عملا كاملا .

ختاماً أريد أن أقول ـ باختصار ـ إن المقصد الأصلى من وراء هذا المقال لفت أنظار عامة المسلمين إلى أهمية تقسيم التركة حسب النظام الشرعى ، لتكون العناية والانتباه إلى ذلك فى كل بيت ، فى حركة تطهير المجتمع الاسلامى التى تنهض لدعوته إلى القيم الاسلامية و تبعيده عن العناصر غير الاسلامية مثل محو العادات و التقاليد غير الاسلامية من كل بيت ، ليكون فى هذه الحركة النصيب الأوفر لازالة هذا التقليد الجاهلى فى تقسيم التركة ، كما حاولنا أن نلفت عناية السادة العلماء و المصلحين و العاملين بواجب نشر الفضائل و محو النكران العظيم ، إلى ذلك ليجعلوا هذه الناحية الهامة من الحياة هدفاً لجهودهم الاصلاحية ويركزوا عليه مساعيهم بصفة خاصة ، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٤٥ للفاضل حاجى خليفة (طبعة دار الفكر ١٤٠٤هـ المطابق ١٩٨٢م .

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى

-(الحلقة السابعة)-

الأستاذ صدر الحسن الندوى

المطلب الخامس

أنواع التأمين من حيث طبيعة الأخطار المؤمن منها

ينقسم التأمين من حيث طبيعة الأخطار المؤمن منها إلى ثلاثة أقسام رئيسية نبينها فى السطور التالية .

١- التأمين البحرى : ٢- التأمين الجوى : ٣- التأمين البرى :

١- التأمين البحرى :

يقصد به التأمين من الأخطار التى تتصل بالنقل البحرى .

أولا : تنقسم عقود التأمين البحرى حسب الشئ (موضوع التأمين) إلى أقسام .

١- عقد تأمين السفينة :٢- عقد تأمين السفينة أثناء بنائها : ٣- عقد التأمين على البضائع :

ثانيا : كيفية التعاقد :

يقع إجراء التأمين البحرى على صاحب المصلحة فى وصول البضائع سليمة إلى المكان النهائى لوصولها ، و بالنسبة للاستيراد فان المستورد فى حالات الشراء فى حالة سيف (C. I. F.) فانه ينص كشرط من شروط فتح الاعتماد المستندى على أن يقوم المصدر بالتأمين و موافاته بوثيقة يتفق على شروطها (١) و فى

(١) بيع سيف (C. I. F.) Cost Insurence Freight تعريفه : هو بيع البضاعة تسلم قبل وصولها و فيه يقوم البائع - نظير ثمن إجمالى باحضار البضاعة إلى ميناء الشحن و إبرام عقدى التأمين و النقل على البضاعة . ★

حالة الشراء فى حالة بوف (B. O. F.) فان المستورد يقوم باجراء التأمين مع الشركات التى يتعامل معها (١) .

ثالثا : البيانات الواجب توافرها فى وثيقة التأمين : ١- أسماء المتعاقدين :

المؤمن و عادة ما يكون شركة تأمين و تؤمن له فرد أو شركة .

٢- الشئ موضوع التأمين :

الرسالة المؤمنة أو البضائع المنقولة أو المشحونة و المطلوب التأمين عليها ، ويجب أن توضح من حيث الصنف والكمية والعبوات وطريقة التغليف والعدد و الوزن و الأطوال و ذلك حسب اختلاف الصنف و المادة .

٣- مبلغ التأمين :

هو قيمة موضوع التأمين وغالباً ما يحتسب على أساس قيمة الرسالة مضافاً إليها ١٠٪ حيث أن التأمين بقيمة أقل أو بقيمة أقل أو بقيمة مغالى فيها يضر مصلحة المؤمن له .

★ وتقع المخاطر على المشترى ابتداء من الشحن و على البائع أن يسلمه البضاعة بأن ينقل إليه سند الشحن و بوليصة التأمين و عندئذ يجب على المشترى دفع الثمن .

و قد وضعت له قواعد محددة فى وارسو سنة ١٩٢٨-١٩٣٧م (موسوعة القضاء والفقه للدول العربية : ٥١/٢٨٨ د/على جمال الدين عوض) .

(١) بيع بوف B. O. F. (Free on Board)

تعريفه : يقترب بيع بوف مع بيع سيف حيث إنه كذلك بيع ينفذ فى ميناء الشحن و لكنه يختلف عنه فى أن البائع لا يلزم بابرام العقد التأمينى ولا النقل ، و لذلك فان ثمن البيع لا يتضمن نفقات النقل ولا التأمين لأن المشترى يقوم بنفسه بدفعها إلى الناقل و المؤمن اللذين يتعاقد معهما . (موسوعة القضاء و الفقه : ٥١ / ٣٠٢-٣٠٣) .

٤– اسم السفينة :

هو عام و خاصة إذا علمنا أن لكل سفينة سجلا خاصاً ببنائها و حمولتها وجنسيتها وأى تغييرات تطرأ عليها، وتظهر أهمية هذا البيان بالنسبة للسفن الكبيرة حيث تحتسب رسوم إضافية بالنسبة لكبر عمر السفينة قد تفوق رسم التأمين نفسه .

٥– الرحلة :

المكان الذى يبدأ منه شحن البضائع و المكان النهائى لوصولها .

٦– قسط التأمين :

هو المقابل الذى يدفع لشركة التأمين نظير تحملها بالأخطار .

٧– شروط الوثيقة : لها شروط عامة و شروط خاصة (١) .

٨– شروط أخرى يتفق عليها الطرفان حسب ظروف التأمين (٢) .

٢– التأمين الجوى :

يقصد به التأمين من الأخطار التى تتصل بالنقل الجوى ، وقواعد التأمين الجوى تتفق فى معظم الأحوال مع قواعد التأمين البرى وسنبحث عن قواعد التأمين البرى بتفصيل و إيضاح فى المباحث الآتية .

ولكن يحسن بنا أن نبين هنا طبيعة النقل الجوى، يقول أحد خبراء النقل الجوى :

جرت العادة على استخدام وسيلة النقل الجوى أساساً فى نقل السلع القابلة للتلف السريع كالخضراوات و الفاكهة و الزهور و التى تتحمل بطبيعتها إضافات على تكلفتها لارتفاع النولون و بالتالى تحملها بزيادة فى الرسوم الجمركية .

كما يستخدم النقل الجوى فى نقل السلع الخفيفة الوزن أو ذات الصفة العاجلة أو المعرضة للكسر كالملابس الجاهزه و الأقلام و العينات التجارية وقطع

(١ و ٢) راجع التصدير و الاستيراد علمياً و عملياً : ١٧٦ وما بعدها .

الغيار و المستحضرات الطبية و الأجهزة العلمية و المطبوعات و وسائل النشر و البريد ولا يمنع ذلك فى ظل بعض الظروف أن تستخدم طائرات لنقل السلع ذات الأحجام الكبيرة كالسيارات .

و من أهم العوامل فى التوسع فى خدمات النقل الجوى المنظمة العالمية للنقل الجوى ، و تكونت هذه المنظمة فى عام ١٩٤٥ م فى مونتريال بكندا كمنظمة عالمية تعمل على توفير الأمان ، و فى مجال النقل الجوى للبضائع (The International Air Transport Association)

عملت المنظمة على التوسع السريع عن طريق :

(١) وضع نظام موحد للمستندات لنقل البضائع ، ويوجد نمط واحد للمستندات لكافة شركات النقل الجوى .

(٢) وضع نظام موحد لمعدلات الأسعار، ومعدلات اتفاقات النقل الداخلى وتعطى شركات الطيران تعريفة موحدة لأية شحنة مهما تعددت شركات الطيران .

(٣) إيجاد غرفة مقاصة من خلالها يوزع النولون و ذلك عند ما يتم شحن بضائع عن طريق أكثر من شركة طيران وترسل كل شركة مطالبتها قبل الشركات الأخرى .

و أما العامل الثانى الذى أدى إلى زيادة أهمية النقل الجوى هو :

(١) سرعة تسليم البضائع للمستورد .

(٢) سرعة سداد المستورد لثمن البضائع لتسلمها بسرعة .

(٣) عدم الاعتماد على التخزين و الاعتماد على النقل الجوى .

(٤) الضمان والحماية أكثر فى النقل الجوى، لذلك فأقساط التأمين على الشحنات عادة أقل فى النقل الجوى و مخاطر السرقة أقل .

(٥) التغليف المطلوب للنقل الجوى أخف من التغليف المطلوب للنقل البحرى (١) .

« يتبع »

(١) التصدير و الاستيراد علمياً و عملياً : ١٧٢–١٧٣ .

العلامة محمد تقى الدين الهلالى المراكشى
(٢)

سعيد الأعظمى الندوى

المجال الرئيسى للاستفادة :

كان المجال الرئيسى الذى توخيت الاستفادة فيه من العلامة الهلالى ، هو مجال النحو والعربية والأدب العربى ، فقد كان للاستاذ الهلالى باع طويل فى العلوم كلها ، إلا أنه كان يعرف فى المجتمع الجامعى و البيئة العلمية هناك بعلو كعبه فى علوم السنة ، و كان قد جمع بين حفظ متون الحديث و كتاب الله تعالى مع اطلاعه الواسع على المسائل الفقهية و الدينية ، و أقوال الأئمة و تصلبه فى العقائد و استنباطه لما هو أقرب إلى الكتاب والسنة ، و لذلك فان جامعة بغداد طلبت منه إلقاء محاضرات فى كلية تدريب المعلمين حول المواد الدينية مما يتعلق بالتفسير و شرح الأحاديث و الفقه الاسلامى ، و لكنه كان ينتهز الفرص خلال إلقائه هذه المحاضرات أمام طلابه لشرح المسائل النحوية و الاستشهاد بكلام الفحول من شعراء العرب ، وإعراب العبارات الغامضة بحيث يتضح المعنى ، وينحل اللغز .

برنامج دراسى للاستفادة العلمية :

و كم كنت سعيد الحظ بما قد تكرم به أستاذنا الهلالى من وضع برنامج لى تتيسر به الاستفادة منه فى مجال العربية و الأدب و التعبير و الاعراب ، وخاصة بعد ما رأى حرصى على ملازمتى إياه و انتهازى لهذه الفرصة التى أتاحها الله لى عنده ، و لقد قرر لى كتاباً فى النحو و هو شرح شذور الذهب لابن هشام أقرؤه عليه بشىء من التحقيق و استعراض مسائل الاعراب من كل باب ، والتفهم

لوجوه و فروق و معانى النحو التى لها دور كبير فى بلاغة الكلام و تذوق اللغة وصحة التعبير ، و كتاباً آخر فى الشعر العربى إذ وقع اختياره على ديوان الحماسة الذى يعتبر من أحسن دواوين الشعر العربى و أجمعها لأصناف الشعر و أبوابه .

و ذاك عـــدا الاستفادات المنوعة التى كنت أحظى بها مع ملازمتى إياه طوال أوقات عمله ، فقد كنت أذهب معه إلى الجامعة وأحضر معه فى كل حصة دراسية كان يدرس فيها درساً من الحديث و التفسير و يلقى فيها محاضرات حول مختلف المواضيع من العربية واللغة و الاعراب ، وكنت لا أفارقه حتى يأذن لى بالعودة إلى مقرى ، أو يشتغل هو بنفسه أو بأمور خاصة لا شأن لى بها .

تباشير خير مع كل صباح :

كنت أعيش فى جو دينى صالح مع إخوة فى الدين فى مقر جمعية إنقاذ فلسطين و كان فى موقع جميل وعلى باب المعظم من بغداد ، و كنت أقضى كل أوقاتى بعد العودة من الدراسة فى نشاطات دينية لايخلو منها يوم فى هذا المركز الدينى ، مع جماعة من الاخوة المحبين ممن كانوا يكرمونى و يعطفون على بحبهم و يرون فى أخاً عزيزاً جاء إليهم من الهند لغرض علمى و دينى فحسب ، و لقد كان كثير منهم يعرفونى من خلال كتاباتى فى مجلة « البعث الاسلامى » و بصفتى مدير تحرير لها آنذاك .

و رغما من تعارفى إلى هؤلاء الاخوة فى الدين وقضاء لحظات طيبة فى مجالسهم واجتماعاتهم و نشاطاتهم الدعوية كنت أترقب بصبر نافد كل مساء صباح النهار القادم الجديد الذى أتوجه فيه على جناح شوق نحو محلة « الأعظمية » حيث كان يسكن أستاذى الجليل الدكتور محمد تقى الدين الهلالى ، و ألازمه مع لحظة حضورى لديه إلى ماء شاء الله أن أبقى معه .

فكنت أرافقه إلى الجامعة إذا كانت له هناك محاضرات صباحية، و بعد العودة منها كنت أتابع دروسى أمامه فى منزله وأقرأ له ما كان يأمرنى بقراءته من كتب المراجع أوالكتب الجديدة التى كانت تأتى إليه كهدية من مختلف الجهات والمكتبات و أحياناً كان يطلب منى قراءة المجلات و الجرائد التى كانت ترد إليه بالبريد و خاصة مجلة « دعوة الحق » التى طالما تضمنت بحوثه العلمية و مقالاته الأدبية المفيدة ، و بعدئذ كنت استأذنه للعودة إلى مقرى، و ذلك فى الأغلب بعد ظهر كل يوم .

كتب أخرى للمطالعة الخاصة :

و قد وضع لى الأستاذ الجليل قائمة من الكتب لكى أدرسها و استفيد منها بمطالعتى الخاصة، منها شرح الألفية لابن عقيل المقيلى الهمدانى الذى قال فيه أبو حيان قولته الشهيرة : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، وشرح الألفية لابن هشام الذى أسماه (أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك) و شرح الألفية لأبى الحسن على نور الدين بن محمد الأشمونى (المتوفى عام ٩٠٠ هـ) و أسرار العربية ، لامام العربية عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى (٥١٣-٥٧٧هـ) وكان قد صدر الكتاب بتحقيق عالم الشام الكبير العلامة محمد بهجة البيطار رحمه الله ، وكذلك ، أشار على بمطالعة كتاب الأمالى لأبى على القالى، والكامل للمبرد ، و خزانة الأدب للبغدادى ، وكتاب البيان و التبيين للجاحظ .

أما فى الشعر العربى فكان ديوان الحماسة لأبى تمام فى الدرجة الأولى عنده، و دواوين الشعر الأخرى للشعراء الجاهليين « مع المعلقات السبع » و للشعراء الاسلاميين ، كديوان حسان بن ثابت و الفرزدق و جرير ، والشريف الرضى، وكان يتناول المتنبى بالنقد اللاذع و يعتبره فى طبقة عادية من الشعراء المتكسبين،

و لذلك كان كلامه خاليا فى معظم الأحوال من الروح الفنية ، و من العاطفة و الوجدان ، و طالما يتضمن ألحانا لغوية و إعرابية لا تخفى على أهل العلم و البصيرة و النقد .

طلبت إليه أن يوجهنى فى شأن الكتابة و التعبير العربى ، فقبل ذلك ، و أمرنى بالكتابة حول موضوعات تتعلق بالتراجم و الرحلات و أحداث الحياة و المجتمع ، فكنت أكتب و أعرضها عليه أحياناً فكان يتناولها بالاصلاح و الارشاد و التهذيب ، و يشير خلال ذلك إلى نقاط مهمة ذات فوائد عظيمة، و إلى الأسلوب الصحيح للتعبير العربى الخالص مع الابتعاد عن التعبيرات الأجنبية التى دخلت فى العربية عن طريق اللغة الفرنسية و اللغة الانجليزية .

خطبة الجمعة فى جامع الدهان :

هذا الجامع مبنى على الطراز الجديد ، وهو من الجوامع الجديدة التى يؤمها الشباب المسلم و العلماء و أهل العقيدة السلفية الذين يبتعدون عن الجوامع التى فيها قبر أو ضريح ، و قلما يخلو الجوامع القديمة فى بغداد من القبور و الضرائح وكان العلامة الهلالى مسئولا عن إلقاء خطبة الجمعة فى هذا المسجد ، فكان من عادتى أن أبكر إليه صباح كل جمعة ، و أقرأ عليه من كتب السنة والتفسير ما يأمرنى به ، و ذلك استعداداً للخطبة و صلاة الجمعة فى هذا المسجد الذى كان يأتى إليه حشد عظيم من الناس لاستماع الخطبة ، و أداء صلاة الجمعة فيه ، ذاك أن الأستاذ الهلالى كان يتناول فى خطبه البليغة مسائل المسلمين و مشكلاتهم و يعرضها على مرآة الكتاب والسنة ، و يوازن بين ما يعيش فيه المسلمون اليوم و ما عاش فيه المسلمون السابقون ، و طالما كان يستشهد فى أثناء خطبته بنصوص الكتاب و السنة ، و شواهد التاريخ الاسلامى ، فكانت بمثابة درس دينى عظيم

يخاطب القلوب ، و يؤثر فى النفوس ؛ بجانب ما كانت تتمثل فيها من بلاغة الكلام و فصاحة البيان ، و إظهار الاعراب و التركيز على صحة التعبير و الأداء ما لا يخفى على المطلعين العارفين .

قبسة من أنوار الوحى :

وضع الأستاذ الكبير كتاباً للطلاب الذين كان يدرسهم فى الجامعة ، فى « دار المعلمين العليا » وضمنه قبسات من كتاب الله تعالى و طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ و تناول كل ذلك بشرح علمى و دينى مستفيض حتى تكونت بمجموعة طيبة للطلاب و المدرسين جميعاً استوفت الجوانب اللازمة للتربية الدينية و بناء السيرة الاسلامية ، و قد اهتم الأستاذ بطبع الكتاب على نفقته الخاصة وسلمه إلى المطبعة طالباً من صاحبها الاهتمام الكبير بطباعته ، والاسراع فى إخراجه فى صورة جميلة أنيقة ، وفعلا بذل صاحب المطبعة اهتمامه بتجميع الحروف وإصدار الملازم ، فكان الأستاذ يمر على المطبعة كل يوم ويستلم الملازم الجديدة يطلع عليها و يأمرنى بقراءتها ويملى على تصحيح الأخطاء فكنت أوشر عليها و أصوبها على حاشية كل صفحة .

و هكذا كان يبذل اهتمامه الكبير بطباعة الكتاب ويحب أن تتم فى أسرع فرصة حتى يمكن توزيعه على طلابه رجاء أن يتسع نطاق فوائده الدينية ويستفيد منه الطلاب الذين كانوا بأشد حاجة إليه فى مادتهم الدينية ، و لما صدر الكتاب و وصلنا به إلى الجامعة و عرضه الأستاذ على طلابه استبشروا به و فرحوا ، و أقبلوا إليه يزفون ، وتناولوه بأيد من الشوق واللهفة وبشئ كثير من التقدير والاعجاب .

إفاداته القيمة خلال الدراسة :

و فى دروس النحو و الاعراب كان ينتهز الفرص للافادة العلمية و إلقاء

مسائل الباب مما لم يكن الطلاب يعرفونها فى أغلب الأحوال ولا كان المدرسون يعتنون بها أثناء تدريسهم لكتب النحو والاعراب بوجه عام ، فعلى سبيل المثال : الجار و المجرور أو الظرف إذا كانا صفة أو حالا أو خبراً أو صلة فان متعلقهما يكون واجب الحذف ، و يقدر وصفاً أو فعلا ، إلا فى الصلة فلا يقدر إلا فعلا ، مثال الجار و المجرور إذا كان صلة « الله يعلم ما فى قلوبكم » فى قلوبكم جار و مجرور متعلق بفعل محذوف وجوباً ، تقديره : الله يعلم ما كان أو ما ثبت فى قلوبكم ، و لا يجوز أن يكون التقدير بوصف يعنى ، كائن أو ثابت ، والجمله صلة الموصول لا محل لها الاعراب .

أما إذا كان الظرف صلة فمثاله « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » عندكم ظرف متعلق بفعل محذوف وجوباً ، تقديره : كان أو استقر ، و لا يجوز أن يكون وصفاً يعنى : كائن أو مستقر ، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الاعراب .

و بهذا الأسلوب كان يركز على تفهيم القواعد الأساسية وتحبيب مسائل الاعراب كفن له أهمية كبرى فى العلوم كلها ، و أن القلم و اللسان لا يكادان يستقيمان بدون إتقان وجوه الاعراب و مسائله و أبوابه و أحكامه .

و كان يوصى طلابه بمطالعة كتب الشواهد ، للاطلاع على الموضوع والتعمق فيه ، كشرح الشواهد للعينى ، وشرح الشواهد ، المغنى للسيوطى ، وشرح الشواهد ، المغنى للامير ، ومغنى اللبيب لابن هشام .

تركيزه على صحة النطق إعراباً و حركات :

لم يكن يقدر أى طالب مهما كان ذكياً أو شاطراً أن يفلت من مؤخذاته على الأخطاء فى النطق أو الاعراب و الحركات و قد أرشدنى فى هذا المجال إلى أخطاء تقع فى وضع الكلمات مثلا تحريك عين الكلمة فى ساكنها و إسكان

العين فى متحركها ، وضم فاء الكلمة وكسرها فيما هى بفتح الفاء ، و هكذا لم يكن يغفل شيئاً من هذا النوع أبداً ، بل و كان يضغط عليه ضغطاً كاملا ، ويستشهد على قوله من نصوص الكتاب و السنة ثم الشعر الجاهلى وكلام العرب الأقحاح .

سألته ذات مرة عن كلمة « المشربة » لأى مناسبة يسمون الغرفة « المشربة » فقال : لأنهم كانوا يخصون الغرف للشرب ، و كذلك الشارب ، الشعر الذى يكون على شفة الانسان العليا ، ذلك لأنه يشارك الشفة فى عملية الشرب فكأنه يشرب أيضاً ، كما يسمون الشوارب ، الساكنين على ضفة النهر الذين يشربون من مائه باستمرار ، و يسمون الشوارب مجارى الماء فى الحلق ، لأنها تكون شريكة فى الشرب دائماً ، و الشربة بالضم تسمى الحمرة التى تكون فى الوجه وتبدو كأنها شربت الدم الآن .

هذا عدا الكلمات الكثيرة التى تكرم بشرحها وتصحيح نطقها أو حركتها ، وكان يكره التجاوز عن استعمال الكلمات الفصيحة إلى استعمالها عامية أو دارجة ، و يأمرنى بالابتعاد عن اللهجات العامية و الفرار عنها فى كل مناسبة ، ويقول : إن اللغة العربية أصبحت شبه ميتة فى بلدها ومهدها ، فقد تركها أهلها و اختاروا مكانها اللهجات العامية التى تعارض روح هذه اللغة ، و يقول : لولا الكتاب والسنة لما بقيت للغة العربية أى باقية ، و اندرست اللغة العربية و أصبحت أثراً من آثار التاريخ .

غيرته على العربية ، قصة طريفة :

بلغ من شدة غيرتة على اللغة العربية بحيث إذا سمع أحداً يتكلم بلغة مشوبة يغضب عليه ويوصيه بالالتزام بالفصحى ، إذ لم يكن هو نفسه يرضى فى أى حال بأن يستعمل لهجة عامية مع أحد ، حتى مع أهله و أولاده ، وبالمناسبة حضرتنى

قصة طريفة حكاها لى ، و هى أنه لما سافر إلى مصر بطريق البحر و ركب القطار من بور سعيد متجهاً إلى القاهرة ، جاءه مفتش التذاكر فى القطار و طلب منه تذكرة السفر قائلا : « ورأ » (١) فلم يفهم الأستاذ كلامه و ظن أنه يطلب منه الذهاب إلى الوراء ، و لكنه أعاد نفس اللهجة وقال : « ورأ » فوقف من مكانه و تأخر قليلا إلى الوراء ، فقال له بعض الركاب : لا ، لا ! إنه يطلب منك التذكرة ، فأخرجها و أراها المفتش . ثم تناوله باللوم على التخاطب بمثل هذه اللغة العامية ، و أوصاه بالتكلم باللغة العربية السليمة .

و قصة أخرى شبيهة بالأولى حدثت له فى القاهرة ، و هى أنه لشراء بعض الحاجيات وقف على مخزن تاجر ، فسأله عما يريد شراءه بقوله : « عاوزيه » فلم يفهم معناه الأستاذ و بقى محتاراً لما يقول ، و ظن التاجر أنه لم يسمع كلامه فرفع صوته بقوله السابق و قال بشئ من التأنى و رفع الصوت « عاوزيه » ، وقبل أن يرد عليه العلامة الهلالى بكلام ، عاد قائلا : « ما بتعرف عربى » ، و فهم العلامة كلامه هذا ، و رد عليه بقوة و ثقة و غيرة « لا أعرف إلا العربية » ، و هنالك انطلق التاجر يتكلم بالعربية الفصحى و سأله « ماذا تريد » (٢) .

انتقاده لطريقة تعليم العربية بغيرها من اللغات :

سألته ذات يوم خلال شرحه لعبارة غريبة ، ما هى الطريقة الصحيحة لتعليم اللغة العربية فى البلدان الأعجمية كالهند مثلا ، فانبرى قائلا من غير تأخير : هى أن نعتمد فى تعليم اللغة العربية على اللغة العربية نفسها ، و لا ينبغى أن نترجمها

(١) يعنى «الورق» و المراد به تذكرة السفر ، ففى اللهجة العامية المصرية يغيرون القاف بالهمزة ، فيقولون « ألت لك » بدلا من (قلت لك) .

(٢) عاوزيه ، معناها : « ماذا تريد » .

إلى لغة ، فالطالب مهما كان مبتدئاً و متوحشاً و لكنه بشئ من الصبر و المثابرة يعود إلى رشده ، و يستطيع أن يفهم العربية بالعربية ، ولكن ذلك يتوقف على المعلم و اجتهاده فى التعليم و إخلاصه للطالب ، و كان يتناول معلمى اللغة العربية فى بلاد الهند بالنقد اللاذع ، و يقول : إن العيب كل العيب فى مدارس الهند العربية أن المدرسين فيها يعتمدون على لغة « أردو » حتى فى تعليم مادة اللغة العربية و النحو و الاعراب و الأدب العربى ، و كان يستنكر هذه الطريقة و يلح على التعليم باللغة العربية ، و يعتبره الطريق الصحيح النافع .

و قد اتفق له أن حضر فى دروس علماء الهند فى مدارسهم يوم كان فى الهند ، و ذكر لى أنه حضر يوماً حلقة درس لديوان المتنبى فى إحدى المدارس الكبرى ، وكان الأستاذ يشرح بيتاً من شعر المتنبى بعيداً عن مراد الشاعر ، فسأله العلامة الهلالى عما إذا كان شرحه يطابق مفهوم كلام الشاعر ، فغضب عليه الأستاذ و قال لتلاميذه : اقرأوا ، فانه حمار لا يعرف شيئاً (عبر عن هذا المعنى بلغته الأردية) فكان العلامة الهلالى سيئ الظن بمدرسى اللغة العربية فى الهند ، وحتى كان يعارض الكتاب الجدد و الأدباء المزعومين و يتناول أسلوبهم الأدبى بنقد لاذع ، وخاصة التعابير التى استوردوها من اللغات الأجنبية و دمجوها بالعربية ، على أنها لغة غنية لا تحتاج إلى ذلك فى أى حال ، وسئل عن طه حسين وأدبه ، فاكتفى بأن يقول : إنه أعمى البصر و البصيرة ، و قال مرة : إنه حمار يحمل أسفاراً من الغرب .

اتساعه العلمى و نظرته العميقة :

كان حافظاً لمتون الأحاديث بما لا يأتى عليه الحصر ، كما كان واسع الاطلاع على جوانب لغوية بفروقها و مفاهيمها و لهجاتها ونطقها و حركاتها ، و لذلك فلم

يكن أدنى خطأ فى النطق أو الحركة جديراً بالصفح أو الغفران عنده ، بل كان يؤاخذ على ذلك و يشرح الصحيح من الخطأ ، و يأتى له بالدليل من القرآن و السنة أو من كلام العرب ، ويدلى بملاحظاته اللغوية و الأدبية .

و كان يتقن عدة لغات عالمية مثل الانجليزية و الفرنسية و الألمانية و يوازن بين تعابيرها و تعابير العربية ويشير إلى اللهجات الخاطئة و التعابير الدخيلة الشائعة بين الأدباء و الكتاب المعاصرين ، و يقول : لا أدل من ذلك على انتقاصنا للغتنا و لهجاتنا ، و إصابتنا بمركب نقص فى مجال العلم و الأدب .

وقفت ذات يوم على أسماء الشهور التى تبدأ من كانون الثانى و ينتهى بالكانون الأول ، و سألته عن بعض تفاصيلها فقال إنها سريانية و أملى على بيتاً بالعربية يتعلق بأسماء هذه الشهور وهو كما يأتى :

بكانون شبوط فذر يا أنيس من
يرى الموز حزراً آب أيلول

و عد لى الأسماء كلها بالترتيب الآتى :

كانون الثانى (يناير) شباط (فبراير) آذار (مارس) نيسان (ابريل) أيار (مايو) تموز (يونيو) حزيران (يوليو) آب (أغسطس) أيلول (سبتمبر) تشرين الأول (أكتوبر) تشرين الثانى (نوفمبر) كانون الأول (ديسمبر) .

و كان يرى أن الكتاب الموثوق به فى المفردات اللغوية هو القاموس ، للفيروز آبادى ، و لسان العرب ، لابن منظور .

ثناؤه على خدمات العلماء و الأئمة المجتهدين :

كان كثير الثناء على الخدمات العلمية و الدينية التى قام بها علماء المسلمين و أئمة الاسلام المجتهدين فى مجال نشر الدين وتحبيب اللغة العربية وتعميم الفقه

الاسلامى فى الأمة الاسلامية ، لم يكن ينقص مكانة مولاء الأعلام من الأمة ، و لا كان يقلل من الاحترام لخدماتهم العظيمة فى الابقاء على نقاء الدين وشخصيته العملاقة ، إنما اعترف بعبقريتهم ، و أثنى على مجهوداتهم المخلصة المقبولة عنـــد الله تعالى .

وكان يخص شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن قيم الجوزية بالتقدير و الاحترام نظراً إلى الخدمات العلمية و الدينية العظيمة التى وفقهما الله إليهـا ، و بالأخص فى تصحيح عقائد المسلمين و إنقاذهم من البدع و الضلالات ، بقوة البراهين و صلابة الحجة التى أودعاها فى مؤلفاتهم وكتبهم الجليلة ، و باخلاصهما لله تعـالى الذى كان السر فى توفيقهما و نجاحهما و إقبـال المسلمين عليهما و انتفاعهم بهما . .

و لقد كان الأستاذ الهلالى سبباً كبيراً فى معرفتى ما لهولاء الأعلام من منة كبرى على الأمة الاسلامية فى العلم و الايمان ، و الدين و العقيدة .

ويكفينى هذا القدر القليل من القدر الكثير فى هذا الموضوع ، ولا يسعنى فى الأخير إلا أن أتوجه إلى الله تعالى طالباً منه الجزاء الأوفى لأستاذى الكبير فى آخرته ، لقاء منته الكبيرة على ، و معروفه الذى صنع إلى بالعلم و الأدب و بالثقة العظيمة باللغة العربية و العلوم الاسلامية ، التى شحن بها نفسى ، ولولا أن أستاذى الكبير و مربي الجليل العلامة السيد أبا الحسن على الحسنى الندوى غمرنى بخاصة لطفه وشفقته ولولا أنه أتاح لى هذه الفرصة الغالية لما تمكنت اليوم من كتابة هذه السطور بهذه اللغة الكريمة ، و الله المسئول أن يتولى جزاء الأستاذين الكبيرين بأحسن و أوفى ما يجزى به عباده المؤمنين المخلصين .

و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله وصحبه و بارك وسلم .

صور وأوضاع

عند ما تختل الموازين

واضح رشيد الندوى

إن أول شيء يكسبه الانسان بالاشتغال بالعلم أنه يميل إلى الجد و الرزانة ، و التفكير ، و التأمل ، و التحليل ، و يحصل له الحلم و الأناة ، و لا يكون كالأوراق الساقطة التى تحركها النسيم ، و بالعـلم و الدراسة تحصل للانسان ملكة التميز بين الأشياء المتفاوتة ، ومعرفة الفارق الدقيق بين الأشياء المتقاربة ، فيعرف القدر و القيمة لكل قول و عمل ، و يقيس حجم الرجال و مكانتهم ، و قيمة أعمالهم و مواضعهم بين الرجال ، ويرعى التناسب بين مختلف الأعمال والحاجات ، فلكل عمل قدر و موضع فى الحياة ، كالعلم و الأدب و الفن ، و الجد والهزل ، و التسلية و العمل المضنى و الاجتهاد ، و الراحة ، لكل منها قدر ، و موضع ، و نسبة معينة من الحاجة ، و الأهمية فى حياة الانسان .

استمدت الثقافة المعاصرة جذورها من الحضارة اليونانية ، و الحياة الغربية المادية ، التى تتألف من ممارسة العقل المجرد ، و الاستبداد فى الحكم ، و الاهتمام الزائد بالانتاج و كسب المـال ثم الاستمتاع سواءاً كان ذلك بالفن أو بالرياضة ، أو الجنس ، وأحيانا تتغلب العناصر الأخيرة على العناصر الأولى فتصبح الحياة عبارة عن اللهو واللعب ، وينال الفنانون والرياضيون فيها درجة الأبطال ، والعمالقة يمجدون و يقدسون ، و يقلدون ، و يتسلى الناس بشقاء الانسان ، كما حدث فى آخر عهود

الحضارة اليونانية ، وفى هذا العهد تنحط منزلة العلماء ، و الباحثين ، و المصلحين ، و المفكرين و ينظر إليهم بعين الاستخفاف ، كأنهم ولدوا فى غير زمانهم ، أو يتكلمون بغير لغة عصرهم .

إن العالم العربى و بعض أجزاء العالم الاسلامى تعيش فى مثل هذه الظروف اليوم ، إنها تصرف نفقات باهظة على الألعاب و الرياضة ، و المطربين و المطربات ، و إنشاء الملاهى ، و الملاعب ، و دعوة الرياضيين من الخارج ، بينما هى فى حاجة ماسة إلى دور العلم ، و دور الصناعة ، و حملة محو الأمية ، و البطالة ، و إقرار الأمن و النظام ، وحل قضايا مشبكة تهدد بسلامة البلاد ، و لكنها تعلمت هذا الجانب من الثقافة المعاصرة ، جانب الفن ، و التسلية والمتعة كمظاهر التقدم ، وهو الجانب الذى كان يجب أن يتلو جانب العمل المضنى ، و العلم المرهق للذهن و أن يكون له قدر معين .

إن الانصراف إلى الفن و التسلية يرجع إلى واقع مرير فى بعض أجزاء العالم حيث ارتفع إلى القيادة ممثلون ، و روائيون ، ومغنون ، ومهرجون و وصلوا إلى أعلى رتبة ، و أعلى مكانة من الحكم ، و توزع أعلى أوسمة ، و جوائز التشجيع و شهادات التقدير على الموسيقارين ، والمغنين و المضحكين ، و الرياضيين و يقف هؤلاء فى الصف الأول ويقف العلماء و الباحثون و المفكرون فى مؤخر الصفوف ، أو يعيشون فى الخمول أو تحت رقابة على تحركاتهم و تنقلاتهم ، و تشبع كتب الفن و التسلية ، و تراجم الرياضيين الفنيين ، و لا تلقى الكتب التى تبنى الفكر ، و تربى النفوس شيوعاً ، بل يعافها الناس لأنها تظهر بمظهر غير لائق ، و موضوعها جدى يدعو إلى تفكير لا تحتمله الطبائع التى نشأت على الهزل و الفكاهة .

تلعب الصحافة دوراً رائداً فى عكس هذا الاتجاه كما تلعب دوراً قيادياً فى تكوين هذا الذهن ، و تربيته ، ولأن الذين يتولون الصحافة هم أنفسهم يميلون إلى هذا الذوق الفكاهى ، ويعتبرون الصحافة وسيلة للتسلية بدلا من التربية . والاعلام ، فتكرس على الأفلام ، و نشاطات الفنانين ، و أخبار اللعب ، و برامج الملاهى ، و القصص و الروايات من خارج البلاد عامة للغرام و السياحة و الصيد . كأن الشعب فى إجازة ، بعد عمل شاق و جهاد مرير ، و تنفق الحكومات أيضاً من ميزانيتها على المسارح ، والتلفزيون ، و الرياضة ، و ترويج الفن ، أكثر مما تنفق على الرعاية الطبية ، و التعليم و التربية ، و تشجيع العلماء و الباحثين ورواد العلم .

ذلك أيضاً موقف الجامعات الأوربية إزاء تعليم الشباب من العالم الاسلامى فانها تصرفهم إلى مواضيع لا تخدم فى دراسة القضايا و المشاكل فى الحياة المعاصرة ، ولا تحدث فى رواد العلم كفاءة للبحث الأصيل والابتكار ، واكتشاف الجديد ، فتصرفهم إلى الجوانب الثقافية و الفنية ، و الاندماج إلى الحياة الشاغلة عن التفكير الجدى .

وقد بلغ هذا الشغف الزائد بالتسلية فى وسائل الاعلام فى العالم الاسلامى وبصفة خاصة فى البلدان العربية أن برامج التسلية يزاد من ساعاتها فى شهر رمضان و المناسبات الدينية التى تتطلب الانابة و التضرع إلى الله ، فتسلب هذه البرامج الفكاهية روح هذه المناسبات و تأثيرها ، كما تزاد هذه البرامج فى ظروف المحنة و المعاناة القومية .

و من أمثلة هذا الانحياز الكامل إلى الفن ، و الأدب الفكاهى ، منح الصحافة و الاذاعة فى العالم العربى ، تغطية أكثر من اللازم للاحداث الرياضية و الفنية ، فاذا زار فنان أو رياضى أى بلد عربى سلطت عليه أضواء و نقلت

أفكاره و تصوراته عن الحياة، كأنه قدوة و مثال للشعب المسلم ، و إذا حدثت حادثة فى دنيا الفن صرفت الصحافة جل اهتمامها إليها و إذا توفى فنان أو كاتب مسرحى ، اعتبرت وفاته خسارة لا تعوض ، و كثر النياح و العويل ، أما العلماء و الباحثون ، والمصلحون فيتنقلون من مكان إلى مكان ، و يوافيهم الأجل فلا تذكر هذه الصحف شيئاً عنهم أو تذكر بصورة هامشية فنشأت الشعوب التى تقرأ هذه المواد الخفيفة ، نشأة فكاهية و تقل فيها الجدية .

و لا تزال فى الذاكرة العاصفة التى أثارتها الصحافة العربية لدى وفاة الممثلة صوفيالورين ، و المغنى المصرى عبد الحليم حافظ ، و كوكب الشرق أم كلثوم فأصدرت الصحف ملحقات و أصدرت استعراضات مفصلة لحياتهم و خرجت مسيرات وبلغ حماس المغرمين بالفن أن انتحر عدد من الشباب ، و أخيراً توفيق الحكيم ، الذى لايزال موضوع الصحف ، و على عكس ذلك لم تنل وفيات كبار الكتاب المصريين ، و المفكرين و أخبار تشييع جنازتهم نصف ذلك الاهتمام و التغطية ، و قد أهملت الصحافة كثيرين منهم .

إنه اتجاه خطير ، و دليل على أن الصحافة تربى الجيل على الشغف بالتسلية والترفيه و السطحية ، لقد كان توفيق الحكيم أديباً كأديب له أمثال فى كل بلد ، إنه لم يكن بدعاً فى الأدباء ، ولم يكن أديباً انشائياً و إنما كان ناقلا للفكر الغربى ، ومترجما، وكان كما يتضح من كتابه مقتبسا من أشعة شمس الفكر الغربى ، إنه كان من جيل التقليد الأعمى للغرب ، وكان مسئولا عن التبعية الفكرية ، و المحاكاة ، رغم جرأته فى القيم والمثل العليا ، وقد انتقده الأدباء والكتاب المخلصون للوطن العربى فلا يستحق الدعاية و التغطية بل يستحق أن تحاسب أعماله و أفكاره و توضع فى ميزان النقد الحر .

إن بعض الكتاب من العصر المنصرم ، عصر التقليد و الاقتباس كانوا يفكرون كغربى ، و يكتبون كغربى ، و كان « توفيق » من أولئك الكتاب .

إن الصحافة العربية المعاصرة لا تزال على المنهج القديم فلا تحمل ذاتيـة و إنما هى أداة أو بوق فى أيدى السلطة الحاكمة كصحافة الدول الاشتراكية، لقد لكان لهذا الموقف مبرر فى عهد الاستبداد و القهر كعهد عبد الناصر المشئوم ، و من تبعه فى قهره و كبته و أنانيته ، و لكن فى عهد الجمهورية و الحرية لا يدل هذا الموقف إلا على عدم النضج الفكرى ، فان بعض الصحفيين يبدون كندماء القرون الماضية ، لا يميزون بين الليل و النهار إلا بعين القادة السياسيين ، فيفخمون أحداثاً بسيطة لاتهم الصحافة فى البلدان الأخرى أو يقللون من أهمية الأحداث التى تهم الصحافة فى البلدان الراقية ، فيشعر القارئ باشمئزاز بجعل الأقزام عمالقة و إسقاط العمالقة .

لقد تقدمت الصحافة و الأدب كثيراً فى العصر الحاضر و ساهمت فى بناء الوطن و لكن الصحافة فى معظم البلدان الاسلامية لا تزال مقيدة و مربوطة و لذلك تركز على مسائل و قضايا لا صلة لها بالحياة العامـة إلا بالجانب الذى لا يمس بالسلطة وذلك هو السبب فى التركيز على جوانب التسلية والهزل و لكن التركيز على هذا الجانب لا يساعد على نضج الفكر و الروية ، والحلم ، فى العالم الاسلامى ، و لا يحل ذلك مشاكل و قضايا الحياة .

الخواء الروحى و الترف يهـــدد مجتمعات الأثرياء فى العالم الاسلامى

نشرت الصحف الهندية أخيراً تقارير تفيد بالاقبال النامى على حركات بعض الكهنة الهندوس فى أوربا ، و فى أوساط الأثرياء والأمراء و الأغنياء من رجال الصناعة و التجارة الملانير فى البلاد العربية ، و ذكرت أسماء مصر ، و الكويت ، ودبى ، وبرونى ، ودول اسلامية أخرى أصبحت فيها بعض الشخصيات البارزة فريسة لدعاية هؤلاء الكهنة و ذكرت أن هؤلاء الكهنة يقومون بزيارات عـــديدة إلى هذه الدول و يقيمون صلات بالاثرياء ، و يعلمونهم بعض التمرينات و الأوراد ، لتخفيف قلقهم النفسى الذى ينتج بالعمل المتواصل و بحياة التنعم و الترف التى يعيشونها ، و بهذا الطريق يكسب هؤلاء الكهنة ثروة طائلة فيقيمون مراكز فى مختلف البلدان ، و يبنون قصوراً لهم ، و تتدفق إليهم العملة الأجنبية .

تصعد هذا الاتجاه أخيراً بالتضخم المالى وحياة الترف ، واستسلام أصحاب المناصب الرفيعة ، والثروة الطائلة ، للأوهام فيلتمسون شخصاً يقوم بتهدئة أعصابهم و يبث فيهم الاقتناع الروحى ، و قد وقع كثير من الوزراء الكبار فى الهند فى هذه المصيدة وارتبط كل منهم بشخصية كهنوتية ، وكان ذلك طبعياً فى الجو الهندى.

و لكن استسلام الأغنياء و الأثرياء فى البلدان الاسلامية لأمثال هؤلاء الكهنة أمر غريب للغاية ، فيحتاج هذا التقرير إلى تحقيق ، و قد كان للهاريشى قبل ذلك نشاط ملموس فى الكويت ، والبلاد العربية الأخرى ثم نال رجنيش ، الاله المزعوم سمعة عالمية ، وا كتشفت فيما بعد فضائح فى حياته الشخصية ، وسوء

استغلاله للتربية الدينية ، و كشفت الصحافة جرائم خلقية وأحداث الابتزاز المالى فسقط بعض هؤلاء الكهنة و مالوا إلى الانطواء ، أو الاعتزال فى الهند .

إن نشاط هؤلاء المتكسين الذين يستغلون القلق النفسى السائد فى أوساط الأغنياء ، و إقبال الأغنياء عليهم فى البلاد الاسلاميـة يرجع إلى خواء روحى ، و فراغ واسع للتربية الدينية ، وإلا لما كان لهؤلاء الكهنة الوثنيين منفذ، إنه يدل على الفجوة الشاسعة بين الأغنياء و رجال التربية الدينيـــة و الصالحين الربانيين من المسلمين ، فيقع هؤلاء التعساء فى شبكة الكهنة ، فتحتاج هذه القضية إلى دراسة من الدعاة و العلماء ورجال التربية ، فان المجتمع الاسلامى مهما ارتفع مستواه الاقتصادى إذا تمسك بتعاليم الاسلام و الأخلاق الاسلامية يكون خالياً عن القلق و التبرم ، فان الاسلام وضع منهجاً للفقراء وللاغنياء وللسادة والرعية ، و فرض حقوقاً ، و خطوطاً للعمل و لكن المنهج الذى اختاره المجتمع الواقى فى هذا العصر فى العالم الاسلامى لا يؤدى إلا إلى تناحر وسباق و تنافس ، وصراع فكرى فى غيبة التربية الدينية ، ما يسبب القلق النفسى و هو ما يحدث فى كثير من أنحاء العالم الاسلامى .

أكبر

سماحة الشيخ الندوى يرأس دورة مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية ، و يعود فى سلامة الله

عقد مركز اوكسفورد للدراسات الاسلامية الدورة الثانيـــة لمجلس أمنائه فى ٢٧/ اغسطس فى جامعـــة أوكسفورد برئاسة سماحـــة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ ، و قد رافقه فى هذه الرحلة فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء .

و حضر الدورة من الأقطار العربية معالى الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى ، و معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن تركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، و معالى الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية سابقاً ، و سعادة الشيخ عبد العزيز العلى القناعى الكويت ، و حضر من جامعـــة أوكسفورد الدكتور غريفن رئيس كلية بودلين ، و الدكتور مائكل بليك ويل أستاذ كليـــة سينت كراس و صاحب دار النشر بليك ويل الشهيرة .

و حضر من الهند سعادة الدكتور خليق أحمد نظامى مدير جامعة على كره الاسلامية سابقاً ، و الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى عميد كلية اللغة العربيـــة و الدعوة و أمين المجمع العلمى الاسلامى بندوة العلماء الهند ، و عـــدد آخر من الأساتذة و مسئولى المركز ، استعرض المجلس أولا تقرير مدير المركز الدكتور فرحان نظامى و بحث القضايا المتعلقة النابعة من التقرير ، و صادق على ميزانيـــة العام الجديد ، و رأى المجلس إلى قرار جامعة أوكسفورد بالمصادقة على علاقة المركز بالجامعة بعين الرضا والاستحسان ، وعد ذلك كسبا ثمينا فى مجال تسهيل مهمة تقريب الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية إلى من يريد الاستفادة و التناول منهما ، وأداء

مهمة تبادل المصالح العلمية المشتركة بين الجانبين ، فان جامعة اوكسفورد من أجل الجامعات العلمية العصرية فى العالم المتحضر ، و أوقرها مكانة علمية ، و قد قضت زماناً طويلا بعيدة عن النظر إلى الاسلام و علومه و ثقافاته بالتقدير اللائق بها ، وكان يحول بين أبنائها و بين الاحترام لمكانة الاسلام العلمية و الثقافية جدار سميك من سوء الظن ، ولذلك لما سمحت الجامعة بانشاء مركز إسلامى حر فى إدارته و العمل لأهدافه عده المطلعون على عقلية علماء الغرب و نظرتهم إلى غيرهم من أهل الشرق مكسباً كبيراً ، وقد تعين هذا المكسب وثبت ثبوتا جازماً باصدار قرار المجلس الأعلى للجامعة بمصادقته على المركز و على علاقته بالجامعـــة بصورة حرة و على سياسته العلمية و الادارية الحرة .

و لقد تضمن تقرير المدير لما قام به المركز خلال السنة الماضية من تنظيم لمحاضرات علية فكرية اسلامية عديدة ألقاها عدد من كبار أهل العلم والفكر المسلمين من أنحاء العالم الاسلامى و قيامه باتصالات نافعة للمركز الاسلامى بشخصيات قيادية و علمية كبيرة من أقطار العالم الاسلامى كان ينشد من ورائها ترسيخ قواعد المركز و دعمه ، كما زار عـــدد من قادة الفكر و التوجيه الاسلامى المركز الاسلامى ، و اطلعوا على نشاطاته .

و قدم مدير المركز تخطيطاً واسعاً للاعمال التى سيقوم بها المركز ، ومن أهمها إعداد مجلس علمى و ثقافى للعالم الاسلامى و وضع تاريخ اسلامى بالمستوى العلمى الرفيع ، وتقديم دعم معنوى ومادى للطلبة الذين يدرسون فى الجامعة ممن يريدون التوسع فى دراسة الاسلام ، وتنظيم محاضرات جامعية لهم ، و ذلك بالتناسق مع الجامعة و تعاونها ، و شرح مدير المركز معاناة المركز من ضآلة الصلاحيات المادية وعدم توفرها للاسراع فى القيام بأعمال كثيرة شاملة ، حسب المخطط الذى وضعه المركز بتعاون أهل الخبرة العلمية والفكرية من أنصاره فى دول الغرب وأقاليم الشرق .

ثم أعلن مدير المركز بيده سلسلة من المحاضرات المنسوبة إلى سعادة الشيخ عبد العزيز المطوع القناعى و أعلن باستعداد سماحة الشيخ الندوى لالقاء أولى هذه

المحاضرات فألقاها سماحته فى قاعة بكلية سينت كراس بالجامعة ، و ذلك بعنوان «تأكيد الاسلام على ضرورة العلم وأهميته منذ أول وحى نزل فى الاسلام» واستعرض فى المحاضرة جهود علماء الاسلام الأوائل للعلم و أسبقيتهم فى عـدد من مجالاته و حازت المحاضرة استحسان الحاضرين و نال تقديراً كبيراً و أعلن مدير المركز أن المحاضرة سوف تكون أول كتاب يصدر من المركز كرمز على لائق .

و كان سماحة الشيخ الندوى قد حضر فى دورة مجلس أمناء المركز هذه رغماً من مرضه الذى كان يعانيه منذ ثلاثة أشهر و كاد مرضه يمنعه من الرحلة و لكن أهمية الدورة و كون المركز بحاجة إلى تشجيع ودعم علمى وأدبى اضطراه إلى السفر ، وهو يحمد الله ونحمده معه على أن رحلته كانت نافعة للمركز و لمصالح إسلامية أخرى .

و قد عرج سماحته فى طريقه إلى الهند على الكويت و قضى هناك يومين ، التقى خلالهما رجال الدعوة و العمل الاسلامى فى الكويت ، و خاصة سعادة الشيخ عبد الله العلى المطوع رئيس جمعية الاصلاح الاجتماعى ، و معالى الشيخ يوسف جاسم الحجى رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، و قد عقدت جمعية الاصلاح الاجتماعى بالمناسبة حفلة حوار رأسها سماحته ، و كان موضوع الحوار «الصحوة الاسلامية» فكان لحديثه تأثير طيب ومفيد فى المستمعين ، كما قد زار مقر الهيئة الخيرية الاسلامية على دعوة من معالى رئيسها ، و تفقد الأقسام التابعة لها ، وأبدى فرحه وارتياحه بالعمل الخيرى العظيم الذى يقوم به القادة من علماء ودعاة الاسلام فى الكويت .

وعاد سماحته فى سلامة الله تعالى إلى لكهنؤ فى ٩/ من شهر سبتمبر ١٩٨٧م و مرافقـه فى هذه الرحلة العلمية إفضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوى عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء ، بصفته أحـد أعضاء مجلس الأمناء لمركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية .